سلسلة
عوالم
سفلية
الكتاب 5

شجرة الرب

أحمد الشاعر



تشكيل للنشر والتوزيع

الشجرة تعطينا حياة

ونحن نعطيها عبادة

1

ربيع عام 2022، القصر الكبير لعائلة الكاملية

زقزقة العصافير الجالسة على أغصان الشجرة الكبيرة الكامنة في منتصف الحديقة الفارهة تعلن عن بزوغ الفجر، تمسك الرياح العليلة بأفرع الشجرة ليتمايلا معًا ويقدمان عرضًا استعراضيًا رائعًا ليجتمع المتفرجون من مخلوقات الله الصغيرة ليستمتعا بالمشهد والنسيم البارد.

تعدو الهرة الصغيرة ذات اللون الأبيض لتتسلق الكرسي المتحرك، ومنه تستقر على جلبابه الأبيض الفضفاض، داعب لحيته البيضاء بيده اليمنى وبيده الأخرى داعب قطته، شعر المخلوق الكبير الآخر بجواره ببعض الغيرة من الهرة، فمال برأسه ليضعها على قدمه نظر في عينيه التي تحمل نظارة طبية كبيرة كانت هي وسيلته الوحيدة في تمييز الأشياء بعد أن تقدم به العمر، وأصبحت الرؤية لديه ضبابية بعض الشيء.

داعب بيده الحنونة رأس كلبه الكبير، فقد كان الجد كامل صديقًا طيبًا للطبيعة وللحيوانات أيضًا، فهو الآن ينتظر أن يظهر ذلك السنجاب الصغير من جحره داخل الشجرة ليلقي له ببعض حبات البندق.

نظر إلى الشجرة القابع أمامها بأفرعها الخضراء، وفاكهة التفاح الطازجة منها وابتسم متمنيًا لو تسمح له قدمه ولو لمرة واحدة أن يقف ليلتقط ثمرة ناضجة، وكأن صديقه السنجاب الصغير شعر بما

يجول بخاطره، فتسلق مسرعًا لأحد الأفرع والتقط تفاحة لتسقط أرض وتستقر أمام قدم كامل، ليلتقطها من على العشب الأخضر جاهدًا.

أمسك بها وشم رائحتها ثم قضم منها قضمة صغيرة وبدا يلوكها داخل فمه، وقد بدا عليه استمتاع ونشوة غير عادية.

بدأ كامل في التحرك بكرسيه المتحرك عن طريق ذراع صغير، وُضع على يد الكرسي ليعبر داخل حديقة القصر الكبير التي كانت لا تحمل سوى تلك الشجرة الكبيرة.

تحرك إلى ممر خشبي صغير أسفله بحيرة ليست بعميقة، توقف في منتصف الممر ثم أخرج من جيبه كيسًا صغيرًا يحوي حبيبات صغيرة، ألقى ببعضها في البحيرة لتجتمع أسماك صغيرة كان ينظر لها وهو مبتسم.

تقدم إلى بوابة القصر، بوابة حديدية كبيرة بتقدمها مجموعة من الدرجات الرخامية، ومن جانبها يوجد ممر رخامي مسطح ومستو استخدمه كامل للصعود ومنه إلى داخل القصر.

إنه يوم الجمعة، اليوم المعتاد لتجمع عائلة كامل، الأبناء والأحفاد يأتون باكرًا ليستأنسوا بجدهم الأكبر، الذي تجاوز عمره السبعين عامًا، يستيقظ كامل من باكر ليحضر صلاة الفجر ثم يطمئن أن كل شيء كما تركه الليلة الماضية مرتب ومنظم.

توجه كامل إلى إحدى الغرف الكبيرة التي ألقى عليها غرفة المكتب، الغرفة تحمل مكتبًا كبيرًا في المنتصف، وفى الحائط أمام

المكتب أريكة جلدية كبيرة، أما باقي الغرفة فهي عبارة عن مكتبة ضخمة، فقد أفنى كامل عمره في تجميع تلك الكتب في مختلف المجالات، ليستأنس بذلك الكنز العظيم بعد وفاة زوجته الرابعة.

نعم فقد تزوج كامل أربع زيجات لينجب كامل ثلاثة ذكور وثلاثة إناث، الجميع تزوج واستقل بحياته، إلا ابنته الصغرى تالين، فقد رفضت أن تترك أباها وقامت على رعايته، هو أيضًا لم ينكر أن ذلك القرار رغم أنه خطأ، ولكنه سر قلبه كثيرًا؛ لأن تالين كانت الأقرب إلى قلبه.

أمسك بكتاب كان لم ينهه منذ الليلة الماضية، وبدأ في مطالعته، وأخرج مجموعة من الأوراق تحوي الكثير من الكلام والملاحظات، وبدأ يكمل عليها.

لا يعلم كمْ مرَّ من الوقت وهو جالس خلف مكتبه، حتى جاءت طرقات خفيفة على الباب، ثم دلفت منه تالين حاملة كوبًا من الماء في يد، وفي اليد الأخرى كانت ممسكة بحبات من الدواء، كانت تتمتع ببشرة بيضاء بل ناصعة البياض وشعر أشقر يميل في لونه إلى خيوط الشمس، تتمتع بعينين واسعتين ذات لون بني كعيني أمها وطول أبيها حينما كان قادرًا على الوقوف، هكذا اعتاد أن يصفها كامل.

قالت بصوت لم يبتعد عنه النوم بعد:

- صباح الخير يا أبي.

- صباح الخير تالين ...هكذا اكتمل صباحي.

- أهذه المغازلة لي أم إلى أمي؟

- إنني أراكِ فيها.. أشعر الآن أنها هي من أحضرت لي دوائي.

وضعت له الحبات في فمه ليتجرع الماء من بعدها.

- شفاكَ الله يا أبي.

- الحمد لله ...ألم يحضر إخوتك بعد؟!

- أظن أنني سمعت صوت سيارتهم.

- إنه الميعاد كما المعتاد ...لم يتأخروا أبدًا منذ واحد وعشرين عامًا.

- أأنهيت المشروع الذي حدثتني عنه سابقًا؟

- أنا لم أبدأ بعد.

- إنك تجلس هنا بالساعات وتملأ الأوراق كلامًا لا أستطيع استيعابه.. ولم تبدأ بعد!

- سوف تقرئين روايتي في يوم من الأيام، وسوف تفهمين كل شيء بسلاسة ووضوح.

قاطع حديثهما ستة عشر قدمًا من الأقدام الصغيرة ليهللوا ويتسابقوا على إعطائه القبل والأحضان، ابتسم هو بدوره وتمنى داخله لو يستطيع أن يقف ليستقبلهم بنفس الحفاوة والمرح.

- جدي لقد اشتقت لك يا جدي.

- وأنا أيضًا يا سامر اشتقت لكم جميعًا....أين تامي الصغيرة؟

- أنا هنا يا جدي، لقد أحضرت لك هدية صغيرة.

- أتحرق شوقًا لأعرف ما هي؟

- تفضل ها هي.

- قلم من الحبر ...ولكن لماذا اخترتِ هذا بالذات؟

- حتى تنتهي من قصتك سريعًا، أريدك أن تقصها لي.

تقدم باقي الأحفاد ليقبلوا يده، ومن بعدهم دخل الأبناء الخمسة، تقدمهم الاكبر ليقبل يد أبيه قائلًا:

- صباح الخير يا أبي.

- طبيب عائلتنا أكرم كيف حالك؟

- بخير يا أبي.

- ما بك يا سامي، لماذا تبدو مرهقًا؟

- لقد كنت أعمل في دورية متأخرة يا أبي، لم أنل قسطًا كافيًا من الراحة حتى ينعم الشعب بالسلام.

- لا تكن متحذلقًا ...ما أحوالك يا عبد الله؟

- بخير يا أبي ...تفضل هذه بعض الأوراق الخاصة بالأمور المالية داخل شركتنا تحتاج إلى توقيعك.

- أنت تعلم أنني أفوضك عني في كل شيء.

- إلا الماليات يا أبي، إنها من اختصاصك.

- أين توأماي الصغيران لا أراهما؟

- إننا هنا يا أبي.

- اشتقت لكِ يا هند وأنتِ يا هاجر.

- وأنا أيضًا يا أبي.

- والآن لنذهب لتناول الفطور معًا.

توجه الجد الكبير ومعه عائلته الكبيرة إلى بهو الفيلا، حيث تستقر المنضدة الكبيرة، وقد كان الطعام جاهزًا في انتظار أصحاب البطون الجائعة.

اقتربت تامي من أبيها سامين، ثم همست له في أذنه، فابتسم الأخير بدوره، ثم لم يستطع أن يتمالك نفسه وانفجر ضاحكًا، فتناثر بعض من الطعام خارج فمه، وأسرعت تالين بإعطائه منديلًا ورقيًا وكأسًا من الماء، وحين استطاع الكلام قال في استحياء:

- معذرة يا أبي.

- لا عليك يا بني ...ولكن ماذا قالت لك تالين يجعلك تضحك هكذا؟!

- لا شيء يا أبي.

- لا تقل إنها طلبت منك ذلك الطلب مرة أخرى.. قالتها أمها في غضب

فعقب عبد الله:

- ما هذا الطلب الذي يجعلك تضحك ويجعل أمها تغضب؟

- لا عليك يا عبد الله فلتنهِ طعامك ...إن خيال الأطفال لخصب حقًّا.

- خيال أطفال!

- أبي أخبرني أي فكرة تناقش في روايتك؟ تساءلت هند في شغف.

- الأصل يا أبنائي.

- الأصل ...أصل من؟ عقبت هاجر عاقدة حاجبيها.

- أصل عائلتنا .... الكاملية.

- وما المثير في أصل عائلتنا. قالها أكرم في تعجب ثم تابع حديثه قائلًا:

- نحن عائلة طبيعية للغاية، جدنا الأكبر كان يعود نسبه لأحد الاشراف المقربين للملك، لهذا ولدنا ميسورين الحال.

- لا أتحدث عن جدك الأكبر بل جدك الأول.

- جدي الأول؟ قالتها هاجر متسائلة.

- جدك ماركيدس.

- مارك ماذا.... إنه اسم عجيب حقًّا. قالها عبد الله.

- والأعجب قصته.

انتفضت تامي من مكانها مسرعة، وجرت إلى موضع جلوس جدها، وأعطته قبلة كبيرة ثم قالت في توسل ملحوظ:

- قصها لنا يا جدي .... الآن يا جدي

- لا ليس الآن، فأنا متعب للغاية.

فقام باقي الأحفاد وجميع الأبناء بفعل مماثل لما فعلته تامي الصغيرة.

- قصها لنا يا جدي هيا يا جدي.

- حسنًا حسنًا ...لقد انتصرتم، وسوف أخبركم إياها، ولكن هناك شرط يجب أن تنفذوه.

- ما هو يا أبي؟ تساءلت تالين.

- لا يقاطعني أحد حتى وإن لم يصدقني.

- حسنًا يا أبي ...فلتبدأ.

- قصتنا حدثت بالفعل في نفس مكاننا هذا، ولكن في زمان بعيد لا نعلم التاريخ والوقت جيدًا، فعلى حد علمي أن الزمن قد احتسب من بعدها، تكاد تكون أسماء أبطالنا متشابهة مع بعض من أسمائكم، لا تتعجبوا فقط أنصتوا.

تنحنح الجد الكبير ثم وجّه نظرة إلى تامي الصغيرة ثم تابع:

- في مثل ذلك الوقت من اليوم، والشمس ما لبثت أن تستيقظ من ثباتها القصير، كانت أجراس الصلاة قد دقت في المعبد، ويتوافد المصلون ليقدموا قرابينهم مع أجراس الشجرة المقدسة.

- شجرة مقدسة!!

- لا تقاطع يا عبد الله.

- معذرة يا أبي.

- لقد كانوا ثلاثة كهنة يصلون ويتقبلون القرابين، يهتمون بشجرة الرب، وينظمون دخول المصلين، ثلاثة كهنة صغار يرأسهم كاهن أعظم غليظ الوجه، لا يرى بعينيه حليق الرأس.

***

يتمايل ذلك الغراب الأسود بجناحيه ويسرع بهم ليستقر على غصن تلك الشجرة السوداء الكبيرة، ينظر يمينًا ويسارًا مصدرًا نعيقا مزعجًا مما بث الرعب في قلب الكهنة الثلاثة، نظر أحدهم وقد كان يرتدى ما يشبه الملحفة السوداء تغطى جميع أنحاء جسده، رأسه لا يغزوه أي نبتة من الشعر، مد يده إلى الغراب فنقره الأخير ليحدث جرحًا وألمًا، لم يفصح عنه الكاهن سوى بتعبير صغير احتل وجهه.

ثم سقطت بعض من قطرات الدماء على جذع الشجرة الكبيرة، فقال الكاهن مبتسمًا:

- لقد بدأ يوم جديد في كالين ...لقد منحتنا الشجرة يومًا آخر للحياة.

عاد مبتعدًا قليلًا للخلف، ثم توجه لأحد الغصون معلقًا عليها جرسًا كبيرًا وبدأ في تحريكه ليصدر صوتًا عاليًا معلنًا عن بداية يوم جديد.

بدأ يتفحص بعينيه الشجرة الكبيرة، غصونها غليظة، فروعها قليلة، جذعها ضخم ممدود داخل النهر الكبير الذي يحيط بالشجرة من كل

اتجاه.

نظر إلى الماء، أخرج لسانه من فمه ليمر على شفتيه البيضاء، ثم أخرج قنينة صغيرة كانت معلقة في رقبته ليقوم بفتحها، وهو يعلم جيدًا أنها فارغة، ولكن يقربها من فمه على أمل أن تنسدل منها قطرة، ولكن دون جدوى.

شعر بيد تربت على كتفه، نظر ليجد كاهنًا آخر يرتدي نفس زيه، قال له الأخير في خوف:

- لا تفكر في ذلك يا أخي أريز.

- أين سامين؟

- أنا هنا.

- حسنًا فلتبدأ الصلاة.

اجتمع الثلاثة في مواجهة الشجرة، وجثوا على أقدامهم، وضموا أيديهم إلى صدورهم، وبدأوا الصلاة، وكان سامين يتقدمهم ببضع خطوات قائلًا:

- يا إلهنا العظيم، أغدق علينا بنعمك، أغدق بثمارك على مدينة كالين.

ثم تبعه بروميث قائلًا وقد انسالت الدموع من عينيه البنيتين:

- اقبلى القرابين من المذنبين ...طهريهم من خطاياهم.

تحرك سامين يمينًا ويسارًا وهو ينظر إلى الشجرة المقدسة في

ذهول وإعجاب ملحوظ ثم تنهد قائلًا:

- انظروا يا إخوتي ...انظروا لعظمة الشجرة المقدسة.

فتبعه بروميث قائلًا:

- إن ثمارها أصبحت أكثر نضرة.

تحرك أريز غاضبًا وتحدث بنبرة حانقة:

- إلى متى سوف نظل نتعبد هنا ...لقد بدأت أشعر بالتعب ...إننا نبقى هنا منذ ثلاث ليال.

فاقترب منه بروميث في محاولة منه ليهدئ من روعه:

- لا تتعجل يا أخي ...إنني أشعر أنها تقترب.

- وأنا أيضًا...أشعر بقرب علامة الحصاد.

قالها سامين وتبعه بروميث قائلًا بفرحة عارمة:

- يجب أن نظل نتبعد كما أخبرنا الكاهن الأعظم.

هنا تحرك أريز تجاه نهر كالين قائلًا:

- سوف آخذ بعض الماء من نهر كالين.

فاستوقفه بروميث وقد خرجت الكلمات منه مرتجفة:

- انتظر أتدري ما أنت قادم على فعله.

وصرخ به سامين:

- لا ترتكب مثل هذه الخطيئة.

فاستشاط أريز غضبًا ونظر لهم في تعجب:

- أي خطيئة...إننا هكذا نقتل أنفسنا ...إن الماء الذي نأخذه من المدينة المجاورة لنا لا يكفينا ..إننا نمتلك كل ذلك النهر العذب ولا يمكننا الاقتراب منه.

جلس سامين على ركبتيه وضم يديه إلى صدره:

- نموت فداءً لشجرتنا.

حاول أريز أن يقترب من النهر مرة أخرى.

- إن بعضًا من الماء لن ينقص النهر شيئًا ...وكذلك ليس هناك أحد غيرنا هنا ...لن يعرف أحد ما سأفعله.

اتجه أريز إلى النهر وأمسك بقنينته الصغيرة ثم غمرها في الماء وقربها من شفتيه وكانت عيناه تحملان نشوة غير عادية، وكأنه يلثم فم عشيقته، تجرع الماء دفعة واحدة دون أن يلتقط أنفاسه، وحينما فرغ من الماء نظر إلى أقرانه قائلًا:

- لقد كدت أن أموت ...إن ذلك الماء مذاقه رائع...متأكدان ...لا تريدان أن تجرباه،

هنا وجد الاثنان ينظران لشيء ما يقف خلف أريز، ثم جثيا على ركبتيهما سريعًا، وحينما نظر أريز وجد كبير الكهنة يقف أمامه فخر راكعًا.

كان ذا وجه دائري ولحية بيضاء وفقأ العينين حليق الرأس، يتكئ على عصا كبيرة ويرتدى زيًا مزركشًا واسعًا يشبه الجلباب، فرحب به أريز قائلًا:

- سيدي الكاهن الأعظم.

فتحدث الكاهن مستنكرًا:

- ما الذي جعلكم تتوقفون عن التعبد؟!

جاءه الرد من بروميث بنبرة خائفة متلألئة:

- لقد شعرنا ببعض التعب

اتجه بخطوات بطيئة تجاه بروميث قائلًا:

- أتسمي تعبدك لشجرة الرب تعبًا؟!

فنهض أريز من جلسته وتحدث بنبرة واثقة:

- كلا يا كبير الكهنة...ولكننا توقفنا لنشرب بعض الماء.

- اقترب أيها الخادم المخلص.

اقترب منه أريز ليبدأ الكاهن يستنشق رائحته، فرفع حاجبيه قائلًا في غضب:

- من أين أتيت بهذا الماء؟

- لقد كانت معي

- لا تكذب على الكاهن الأعظم.

تعالى صوت بكاء سامين قائلًا:

- سامحه يا سيدي الكاهن لقد كان متعبًا للغاية.

- وهل شاركتموه في خطيئته.

- لا يا سيدي ...نقسم بشجرة الرب أننا لا نقوى على الاقتراب من نهر كالين.

- إن الكاهن الأعظم يميز الصدق من الكذب، يرى الحقيقة في أعينكم جميعًا، يشعر بنبضات قلبك حين تتكلم، أميز رائحة كل إحساس بداخلك حب، حقد، خوف، غيرة، صدق، كذب، ولن تستطيع أن تفلت من عقابي.

- لم أكن أستطيع أن أتحمل.

قالها أريز وقد بدأ الخوف يتسلل بداخله:

- إنها تتحمل كل الألم والأسى من أجلكم ...من أجل مدينة كالين ...كي تصبح مدينتنا خالية من أي مذنب، إنها لم تكن هكذا، لم تكن شاحبة إلى تلك الدرجة، ولكن أخطاء البشر وفسادهم قد أصابها بالمرض، ورغم ذلك رفضت أن تتخلى عنا.. بل منحتنا فرصة أخرى، منحتنا عبادتها مقابل بعض من القرابين المذنبين، منحتنا يومًا نطهر فيه أنفسنا، منحتنا يوم الحصاد.

- اغفر لي يا سيدي الكاهن.

- أنا قد غفرت لك ...ولكنها لا تتهاون...خذوه إلى السجن، سوف يكون أحد قرابينها غدًا.

- وما ذنبي يا سيدي.

- لقد اخترقت قانون كالين...شربت من نهرها ...لم تستطع كبح جماح رغباتك ...فلتصل لها كي يكون حصادك سريعًا.

- لا يا سيدي...إن لي زوجة ...اغفر لي ...اغفري لي يا شجرة الرب ....لن أفعلها مرة أخرى.

- اغفري لهم ....طهريهم من خطاياهم ...إنهم لا يدركون ...لا يدركون كم الألم الذي تتحملينه ....عجلى بيوم حصادك ....استقبلي قرابينك، لونى نهرك بدمائهم العفنة.

ترتعش السماء بخطوط الرعد، ويصرخ البرق، وتهطل الأمطار لتغرق النهر، وتنساب المياه على الشجرة المقدسة، فيتراقص الكاهن فرحًا، ومن خلفه سامين وبروميثي يجثون على أقدامهم في خشوع، ويصرخ الكاهن قائلًا:

- إنها العلامة .... إنه الحصاد ....لقد استجابت الشجرة نداءنا ...لقد حان يوم الحصاد.

2

يجلس القرفصاء بجانب ابنته المستلقية على ظهرها شاحبة اللون، زائغة العينين، دائمة السعال، وضع يده على جبينها ليتحسس جلدها الملتهب من أثر شدة ارتفاع درجة حرارتها.

جرت دمعة من عينه قام بمسحها سريعًا حتى لا تلاحظ ابنته تامي دموع والدها.

همَّ ماركيدس واقفًا وقد كان عريض المنكبين، ذا قامة طويلة، مفتول العضلات، يرتدي قميصًا أبيض اللون، لا يحمل أكماما، وبنطالًا شديد الوسع، وخفًّا كبيرًا عبارة عن أربطة ليستر بها قدميه الكبيرتين، اتجه إلى الباب حين سمع دقاته، فعلم أنه الطبيب الذي ينتظره.

دلف الطبيب مسرعًا تجاه تامي، وبدا يتفحصها، فتقدم ماركيدس ليجلس بجوار ابنته ممسكًا بيدها الصغيرة قائلًا:

- تشجعي يا تامي ...تشجعي يا صغيرتي.

نظرت بعينيها الغائبتين وقالت بصوت يخرج متقطعًا:

- أشعر بتعب شديد يا أبي.

هنا تحدث الطبيب قائلًا:

- لم أر من قبل أحدًا في كالين يعاني من تلك الحمى الغريبة.

ضم ماركيدس يد ابنته إلى صدره، وتحدث في خوف ملحوظ:

- وها أنت قد رأيت...ماذا يمكننا أن نفعل؟

- سوف أدمج لها تلك الأعشاب، ستريحها قليلًا ...ولكنها لن تقضي على الألم.

- أنا لا أتحمل رؤيتها تتألم هكذا.

- دعني أبحث في المخطوطات التي أمتلكها...لعلى أجد لها وصفة تتصدى لتلك الحمى.

- أتمنى من شجرتنا المقدسة أن تشفي لي ابنتي.

- لا تقلق يا صديقي ....سوف أمر عليك غدًا بالدواء.

- شكرًا لك أيها الطبيب...أراك غدًا.

خرج الطبيب وترك ماركيدسٍ يصارع عواطفة وافكاره لا يعلم ماذا يفعل توجه إلى ابنته وقد رسم على قسمات وجهه ابتسامه زائفة وقال:

- ...تامي...أتشعرين ببعض من التحسن.

- قليلًا يا أبي....لا تقلق هكذا إنني بخير.

- ليس لي أحد غيرك ...لا أقوى على خسارتك.

- لن تخسرني...لن أبتعد عنك إلا...

- إلا ماذا؟

- إلا لو توقفت عن سرد قصة كالين.

- لن أتوقف يا تامي.... أعدك بذلك.

هنا اعتدلت تامي في جلستها، وقامت بعقد معصميها وقالت:

- حسنًا ...فلتخبرني إياها.

- إذاً فلتستمعي جيدًا .... حتى تخبريها لأولادك في المستقبل...

- أنا جاهزة.

- كان هناك مملكتان في قديم الزمان، كانت بينهما نزاعات كثيرة، كانت المملكة الأولى تدعى: (كال)، أما الثانية فكانت تسمى: (لا كين) سُفكت دماء كثيرة بين المملكتين، حتى عزم ملك مدينة (كال) على أن ينهي ذلك الصراع إلى الأبد.

- ماذا فعل يا أبي؟

- قرر أن يتم وضع معاهدة بينهما، وأن يبرم هذا الاتفاق في الأرض ما بين المملكتين، وعندما جاء الوقت حدث شيء غريب.

- ماذا حدث يا أبي؟

- قررت الآلهة أن تتحد معًا هي الأخرى، حيث كانت كل مملكة تمتلك نهرًا خاصًا بها، ففاض النهران في آن واحد، واتصلا ببعضهما البعض أمام الجميع، حتى التقيا عند نقطة إبرام المعاهدة، ولاحظ الملكان ظهور شجرة كبيرة كانت جذورها في النهر المتحد، وآخرها إلى السماء، حينها قرر الملكان أن المدينتين ستصبحان مدينة واحدة تدعى: (كالين)، وأنهما سوف يتقاسمان حكمها معًا، وأن مياه ذلك النهر أصبحت مياه مقدسة ...وتلك الشجرة التي حدث من سفك

الدماء ووحدتهما أصبحت هي الإله ...أصبحت إلهنا .... شجرة الرب.

- إنها قصة جميلة حقًّا.

قالتها تامي وقد نهضت من مجلسها وتابع ماركيدس:

- ولكن يجب أن تتذكري يا ابنتي قوانين مدينتنا.

- أية قوانين؟!

- لمدينتنا أربعة قوانين، وجدها الملكان على أحد أوراق شجرة الرب، وكأنها نبتت معها ، قانونها الأول: لا يجب علينا أن نشرب من مياه نهر كالين، نظرًا لقداستها عند الملك ...القانون الثاني: من بعد غروب الشمس لا يجب على أحد من العوام أن يتجول في المدينة، حتى يتسنى للطبقة الحاكمة أن تتجول دون أن تقابل أي أحد من العوام، وبذلك تحافظ على سلامة الملك، وتحول دون أي مؤامرة، وإذا حدث وقابلنا الأميرات لا يصح أن ننظر في وجوههن...فهم بمثابة الآلهة ...القانون الثالث: لا يسمح لأحد مهما كان أن يقطف ثمار الشجرة المقدسة. أما القانون الرابع: لا يسمح مناقشة الملك في أي شيء يخص القرابين من المذنبين التي تقدم يوم الحصاد.

- وما يوم الحصاد هذا؟

- إن الشجرة منحتنا يومًا لنطهر فيه أنفسنا، لتأخذ روح كل آثم في المدينة، وأي شخص يحاول اختراق قوانينها ...حيث إنها هي من أتت بالسلام على المملكتين، فيفكر الجميع ألف مرة قبل أن يقدم على فعل ذنب، وبذلك يقل عدد الجرائم والمؤامرات في (كالين).

- وكيف يحدث هذا الحصاد؟

- تعلق المشانق على الشجرة المقدسة، ويشنق كل المذنبين، ثم يقوم الملك بأخذ الخنجر المقدس الموضوع داخل الشجرة، ويحدث جرحًا كبيرًا في أقدامهم المعلقة، ويتركوا حتى تتصفى دماؤهم داخل نهر كالين ...فيصبح لونه أحمر قاتمًا، ثم في صباح اليوم التالي تعود المياه للونها الطبيعي.

ظهرت على تامي بعض من علامات الخوف القليل، حين تراءى في خيالها المذنبين معلقين على الشجرة، فسارت قشعريرة في جسدها وقالت:

- ولكن هذه طريقة عقاب بشعة يا أبي!

- تامي يا صغيرتي...نحن لا نقوى على الاعتراض على قوانين شجرة الرب ....انها تحمينا من أنفسنا ...إنها تحبنا يا تامي.

- حسنًا يا أبي، أنا أريد أن أطلب منها شيئا أيمكنني ذلك؟

- بالطبع ...فلتصلي لها وتطلبي ما شئت.

جلست تامي على ركبتيها أرضًا ونظرت إلى شباك صغير في خيمتهم، ثم ضمت يدها إلى صدرها قائلة:

- يا شجرتنا المقدسة...يا شجرة الرب...أنا اسمى تامي ابنة الحداد ماركيدس ...لا أعلم إذا كنتِ قد سمعتِ عنى من قبل ...ولكنني أسمع أبي كل ليلة يطلب منكِ أن تشفيني...ولكن أنا أريد منك شيئًا آخر، أريد أن تمنحي أبي السعادة على قدر ما يحاول إسعادي دائمًا.

تبدأ تامي في السعال الشديد، ولكنها تجاهد لتكمل باقي صلاتها قائلة:

- أريدك أن تنزعي أي حزن من قلبه، أريد أن تنزعي حزن فراقه على أمي ...أرجوك أن تعتني به...أرجوك يا شجرة الرب.

ما لبثت أن انتهت الصغيرة من صلاتها حتى أغشي عليها، فركض ماركيدس حاملًا إياها وهو يبكي.

3

في قصر الملك وتحديدًا في الركن الحربي، كانت تقف وسط الرمال، تحمل سيفها ودرعًا أسود كبيرًا، نُقش عليه رسم لشجرة عظيمة، ترتدي خوذتها، وتنظر بعينيها السوداوين إلى الخصم أمامها، والذي كان يقف بدوره على أهبة الاستعداد، ركضت صاحبة الدرع الأسود صارخة لتهوي بسيفها على درع خصمها، فيتقهقر ويسقط أرضًا، كانت سيلفيا ابنة الملك من أقوى المحاربين في المملكة، تتمتع بمهارة قتالية عالية، ولياقة بدنية لا تتناسب مع كونها امرأة.

تفوقت على كافة أقرانها حينما كانت صغيرة، وها هي الآن تقف أمام معلمتها لليانا، ضربت بدرعها الأسود درع لليانا ليسقط منها أرضًا، ثم أمسكت بعنقها وقبضت عليه وكادت أن تهوي بالسيف لتقتلها، ولكن استوقفتها لليانا صارخة:

- توقفي يا سيلفيا ... لماذا أخذتِ الأمر بكل هذه الجدية؟!

- لن أرفع سيفي حتى تعترفي أنني أمهر منكِ.

- لا يوجد أحد أمهر من لليانا.

- حسنًا سوف أقرب السيف قليلًا.

- حسنًا حسنًا .....أنتِ الأمهر.

تركت سيلفيا السيف وهي تبتسم ابتسامة تدل على سعادة بنصرها على لليانا ثم تحدثت بتفاخر قائلة:

- هكذا يتفوق التلميذ على الأستاذ.

- لقد تضاعفت مهارتك في القتال.

- الفضل يعود لكِ يا معلمتي.

- أشعر بعض الاحيان أن مهاراتك تلك قد أثرت على كونك أميرة.

تعالت ضحكات سيلفيا ثم قالت:

- إن الضعف من شيم الأميرات، أما الشجاعة والإقدام من شيم الملوك.

قطع حديثهما صوت جهوري قادم من الخارج، سبقه صوت بوق عظيم، وقال الصوت الجهوري:

- ملك مدينة كالين المعظم.

دلف إلى الساحة الملك بزيه المزركش المذهب، الذي يعاني من ضخامة أعضائه وجسده المترهل، كان ذا وجه دائري سمين، ولحية بيضاء مهندمة، حين تقدم أمام لليانا وسيلفيا ركعتا الاثنتان محييتين إياه، ثم استأذنت لليانا بالانصراف.

نظر الملك إلى ابنته قائلًا:

- ها أنت يا ابنتي العزيزة ...إنني أبحث عنكِ.

ابتسمت سيلفيا ابتسامة ساخرة ثم قالت:

- لقد كنت أظن أنك لم تعد تتذكرني.

- وكيف لي أن أنسى ابنتي الوحيدة...لقد جاءت لحظتك يا ابنتي.

- ماذا تقصد يا أبي؟!

- أشعر أن هذا الحصاد هو آخر حصاد لي في (كالين).

- ماذا؟!

- نعم يا سيلفيا...وهناك أمر أريد أن أناقشك فيه.

لم يأته رد من ابنته، فتابع حديثه قائلًا:

- أشعر أن (كالين) قد اكتفت من أيام الحصاد تلك....أشعر أنه حان الوقت لفرصة أخرى.

- فرصة لمن؟ قالتها وقد انعقدت حاجبيها

- للقرابين...من الممكن أن نعطيهم فرصة أخرى دون أن تأخذهم شجرتنا المقدسة...قررت يا سيلفيا ...أن أعفو عن جميع قرابين يوم الحصاد...لن يشنق أحد في ذلك اليوم.

- كيف ذلك....وقوانين المدينة وشجرة الرب...أنت بذلك تخترق القانون.

- لا يوجد قوانين كي نخترقها.

كان الكلام يقع وقوع الصدمة على مسامع سيلفيا، وكانت تكتفي بالنظر فقط، لا تريد أن تصدق ما يخبرها به والدها، تابع حديثه حينما اقترب وربت على كتفها:

- الجميع يعلم القصة...الجميع يعلم أن أجدادنا وجدوا القوانين قد

نبتت مع الشجرة...ولكن للقصة جزء آخر.

- جزء آخر!!

- لا يوجد قوانين نبتت...نحن من وضعنا القوانين...ونحن من نضع أي قانون ...كان يجب وضع تلك القوانين حتى نستطيع أن ننهض بـ(كالين) حتى يتمكن الملوك من التحكم برعيتهم حتى يعم السلام.

ظهرت علامات الانفعال على سيلفيا وأمسكت بيد أبيها بقوة قائلة:

- أنت الآن تريد أن تخبرني أنه لا وجود لقوانيننا الأربعة، لماذا إذا ظللت تخبرني إياها ....وتخبرني أننا لا يجب أن نخترقها ...وأنها قوانين مقدسة أخبرنا بها الإله نفسه.

- إنني أعلم أنه من الصعب عليكِ أن تكفري بكل ما آمنت به، ولكن كي تصبحي الملكة يجب أن تعرفي ذلك ....يجب أن تعلمي أن الملك هو من يضع القانون وهو أول من يخترقه.

- لن أستمع لك....لن أدع عقلي يصدق تلك الخرافات ...بحق شجرة الرب ...إن هذا اليوم هو ما يجعلهم خائفين منا ....وخاضعين لنا ....ما الذي حدث لك ...أنت تريدنا أن نعفو عن القرابين....لا ...لا يا أبي ....يجب أن تسفك الدماء....يجب أن يتطهروا من ذنوبهم ... يجب أن يدفعوا ثمن خطاياهم ....يجب أن يعلموا أننا آلهتهم ...لا يجب أن ينظروا لنا ...إننا أفضل منهم ....نحن أبناء شجرة الرب.. نحن من نقاتل من أجلهم.... سوف يحدث هذا الحصاد...لن تعفو عن أحد...لن ينجو منه أحد مذنب.

- بأي حق تصدرين قرارًا وتلغين قرارًا.

- بحق أنني من سيصلح ...إنني ملكة (كالين).

- القادمة يا سيلفيا....أنا لم أذهب إلى الجانب الآخر بعد...لذلك قررت أنا ملك (كالين) أنه في تلك السنة وعلى تلك الأرض المقدسة، تحت راية إلهنا المقدس ...لا يوجد حصاد

- لن تستطيع منع ذلك من الحدوث.

- يبدو أنني أستطيع...أخبريني حين تأتى ثمار التوت...أنتِ تعلمين كم أحبها ...لا تحرميني منها وهي طازجة.

هم الملك خارجًا من الركن الحربي، فوقفت سيلفيا حائرة لا تعلم ماذا تفعل، صرخت صرخة عالية نظر الحراس الواقفون تجاهها، ولكن لا يجرؤ أحد على أن يتفوه بكلمة مما يراه، فهم يفضلون تجنبها في نوبات غضبها، غرست سيفها أرضًا ثم نظرت في الأفق يمينًا ويسارًا حتى وجدت جزءًا من فرع يخص شجرة الرب كان ظاهرًا من أعلى جدار القصر، نظرت إليه قائلة:

- يبدو أن الملك قد فقد صوابه....إنه لا يستطيع أن يجردني من كل ما آمنت به...حتمًا هناك حصاد...حتمًا هناك قوانين...وإن لم يكن هناك...سوف أجعلها أنا هناك...ألم يقل إننا من نضع القوانين...وإننا من يخترقها أولًا... الشجرة تعطينا الحياة، ونحن نعطيها عبادة ... هكذا رددها لي وأنا صغيرة.....الشجرة تعطينا حياة ونحن نعطيها عبادة ....يجب أن نستغل تلك الهبة المسماة بالحياة....إن أبي لم يستطع أن يستغلها، ولكن أنا عكسه تمامًا، يجب أن تظل (كالين)

تحت السيطرة ...لا يوجد قانون يسمى العفو...رددي معي يا (كالين) ....الشجرة تعطينا حياة، ونحن نعطيها عبادة ...الشجرة تعطينا حياة ونحن نعطيها عبادة.

4

يظهر ذلك الشاب قصير القامة، وهو يجلس أمام موقد النار، رفع السيف في الهواء وقد فرغ للتو من تصنيعه، نظر له بإعجاب شديد، هم واقفًا، حين تنظر له تعتقد أنه ما زال جالسًا، ضيق العينين، ذو أذرع قصيرة ولحيه خفيفة جدًا، كان يلوح بالسيف يمينًا ويسارًا قائلًا:

- إنكم لا تستطيعون مقاومتي الآن، لقد حذرتكم من البداية...اللعنة عليكم ... سوف أهزمكم بضربة واحدة من سيفي الذي لا يقهر.

يضرب سيفه في الهواء ثم يهلل قائلًا:

- ها هو شريد بطل (كالين) العظيم يتصدى لجيش بأكمله ويحقق الانتصار.

- ماذا تفعل أيها الأبله؟

كان هذا صوت ماركديس يقف من البداية ليرى ما يفعله شريد مساعده الأحمق وهو يبتسم، فتنحنح شريد معتذرًا.

- معذرة يا سيدي ماركيدس...كنت أتأكد من صلابة السيف الذي قمت بصنعه مؤخرًا.

- أما زلت في تلك الأحلام يا شريد.

- إنها ليست أحلام، يومًا ما سوف تراهم يحيونني بطلًا لتلك المدينة، وسوف يصنعون لي تمثالًا بجانب شجرتنا المقدسة، وسوف

أجنى الكثير والكثير من الحب.

- أنا لا أعترض على هذا ...ولكننا يجب أن نجني بعضًا من الدراهم الآن حتى تستطيع أن تبتاع زيًا يناسبك أيها البطل.

- لقد أنهيت عملي اليوم ...أرجوك سيدي ماركيدس...لا تجبرني على العمل مرة أخرى.

ابتسم ماركيدس ونظر إلى شريد بعين شبه دامعة قائلًا:

- أنت تعلم أنني يجب أن أتكبد عناء العمل ليل نهار حتى أستطيع أن أوفر ما يكفي لتشفى تامي من علتها.

- كيف حالها الآن يا سيدي؟

- إنها ترقد ساكنة لا تقوى على الحراك ...لا أعلم ماذا أفعل يا شريد...والطبيب يخبرني أن أتمهل وسيحضر الدواء لي.

- مسكينة تلك الصغيرة. قالها متأثرًا.

- إنها تذكرني بأمها...لقد كانت تعاني من نفس الأعراض ...ولم يستطع أي طبيب أن يعالجها ...حتى انتقلت إلى العالم الآخر.

- لا تخف يا سيدي...سوف تشفى بالتأكيد....وأنا مستعد أن أواصل العمل حتى نستطيع أن ننجز أكبر قدر من السيوف.

- شكرًا لك يا صديقي...والآن هيا إلى العمل.

توجه ماركيدس إلى أحد الأركان في حاويته الصغيرة، أحضر بعضًا من الأخشاب المستخدمة في تلميع السيوف، ثم أمسك

مجموعة من الحطب وضعها أمامه، وأحضر فأسًا صغيرة وبدأ في تكسير الأخشاب لقطع طولية لتساعده في إشعال النيران.

جاءه صوت قائل:

- أعطني بعضًا من المال ...أعطني بعضًا من طعامك ...أنت أيها البطل.

نظر إلى مصدر الصوت ليجده رجلًا يتكئ على عصا طويلة، زيه مهلهل، فتوجه إليه ماركيدس وقال مواسيًا إياه:

- أنا آسف يا صديقي، ولكنى لا أملك مالًا الآن.

- أعطني بعضًا من المال...أعطني بعضًا من طعامك ...أنت أيها البطل.

ابتسم ماركيدس قائلًا:

- لا يوجد أبطال هنا ...فلتطلب المال من شخص آخر.

- أنت بطل (كالين) القادم...أنت منقذنا ...أتجيد استخدام تلك السيوف؟

- نعم أجيد استخدامها.

- اصنع منها الكثير والكثير ...سوف يحتاجون إليها ويحتاجون إليك.

- تقصد من ...جيش المدينة؟

قالها عاقدًا حاجبيه، فجاءه الرد من العجوز متذمرًا:

- لا أقصد جيش مدينة.... أقصد جيشك أنت... أنت أيها الكاهن.

- أنا لست كاهنًا.... أنا حداد

- أعطني بعضًا من مالك....أعطني بعضًا من طعامك ...أنت أيها البطل.

- توقف عن سرد السخافات ...وارحل من هنا.

- أنا راحل ...ولكن لا ترحل أنت عنا.

- ما هذه الخرافات...ألا يستطيع أن يبحث له عن عمل.

لم يبال ماركيدس بكلام ذلك الرجل، فقد اعتاد هؤلاء الأشخاص في (كالين)، استمر في عمله حتى جاء موعد غروب الشمس، هم بالرحيل ولكنه فوجئ بالطبيب يقف أمامه:

- صديقي ماركيدس.

- أهلا أيها الطبيب....أخبرني أوجدت دواء لابنتي؟

- لقد بحثت كثيرًا وكثيرًا، ولم أفهم طبيعة ذلك المرض، إن أعراضه غريبة بعض الشيء، إنه يصيبها بإغماءات كثيرة، ويجعلها تبصق الدماء، ويبدو أن جسدها يتآكل من الداخل.

- ماذا تقول...بماذا تحاول أن تخبرني؟

- ليس هناك أمل.

هنا تحدث ماركيدس باكيًا:

- لا ..لا تقل ذلك ...لا أستطيع أن أراها تموت بنفس مرض أمها اللعين.

- أكانت زوجتك تعاني من ذلك الأمر أيضًا؟

كان لا يقوى على التذكر أو الكلام، فاكتفى أن أومأ له برأسه بالإيجاب، ثم أخرج الطبيب من جعبته ورقة مطوية قائلًا:

- لقد قرأت في تلك المخطوطة عن شخص واحد فقط كان يعاني من نفس الأمر ولكنه شُفي منه تمامًا.

- كيف ذلك؟!

- لقد كان ملكًا لمدينتنا فيما مضى...وأثار حيرة أطباء المدينة، ولم يشفه سوى شيء واحد فقط.

- أخبرني أرجوك...سوف أفعل أي شيء لأجل تامي.

- حتى ولو كان ذلك الشيء ثمرة ما.

- ماذا تقصد؟

- إن دواء ابنتك يوجد في أحد ثمار شجرة الرب.

- ثمار شجرة الرب!!

قالها متعجبًا وقد ابتلع ريقه بصعوبة بالغة، فتابع الطبيب:

- نعم يا ماركيدس...إن إلهنا وشجرتنا المقدسة هي الوحيدة القادرة على شفاء ابنتك.

- ولكن هذا مستحيل أنت بذلك تريدني أن...

- تخترق أحد القوانين...

- ولكنه أمر مستحيل وبه خطورة كبيرة.

- آسف يا صديقي، ولكن هذا هو الحل الوحيد...حياة ابنتك بين يدي الإله الآن.

خرج الطبيب وتركه وحيدًا شاردًا لا يعرف ما الذي يجب عليه فعله، هل ينقذ ابنته، أم يحافظ على قوانين المدينة؟ تنهد ماركيدس وشعر أنه يختنق، فبكى وبكى كما لم يبك من قبل، كطفل تركت أمه يديه وسط زحام شديد، ولا يستطيع أن يراها، جلس على ركبتيه وما زالت دموعه تنهمر وقال:

- ماذا أفعل الآن...لا يوجد ما أنا قادر على فعله ....أنا ضعيف لا أستطيع أن أتحمل كل تلك الأمور ...لماذا تفعلين هذا بي...إذا كانت حياة ابنتي بين يديكِ ...فأرجو أن تنقذيها، لماذا وضعتِ القانون وتقودينا إلى أن نخترقها، ثم ترغمينا على أن نشنق يوم حصادك وتسيل دماؤنا ...أنا اصبحت الآن داخل دائرة مغلقة أدور وأدور وأدور أتعبد لكِ ..وأتبع قوانينك، والآن يجب عليَّ أن أخترقها لأجل حياة ابنتي ...يا شجرتي المقدسة أرجوكِ أن تأخذي حياتي، بادلي أرواحنا أعطيها من روحي حتى تحيا ...إنها مجرد طفلة، فلتفعلي لها شيئًا، أنا ضعيف...أنا ضعيف.

***

رائحة بخور عتيق تغزو المعبد اليوم، السماء مغيمة، والبرد قارس شديد، يقف الكاهن وسط أعمدة المعبد يتحسسها بأنامله، يظهر على وجهه ابتسامة، وكأنه يرى تلك النقوش كانت تلك النقوش تسرد قصة (كالين) منذ البداية.

سمع صوتًا يأتي من خلفه، فوجه رأسه تجاه الصوت ليأتي صوت الطبيب قائلًا:

- سيدي الكاهن.

- أهلًا يا طبيب مدينتنا.

- لقد فعلتُ ما أمرتني به.

ظهرت ابتسامة عريضة على وجه المشقق لتبرز عن فم يحمل بعض الأسنان المتناثرة في اتجاهات مختلفة وقال:

- لم أشك يومًا في قدراتك ...ولكن أواثق أنه سيأتي؟

- حتمًا سيأتي ...ولكن أعطه بعض الوقت حتى يستوعب الأمر.

- لا يوجد وقت ...إنه ينتظر بشدة.

- من الذي ينتظر؟

جاءه الرد غليظًا وقد تجهم وجه الكاهن.

- هذا ليس من شأنك...لقد أتممت المهمة الموكلة لك.

- والآن أين مكافأتي؟

- خذ أيها المعالج.

ألقى له بدرهم واحد أرضًا.

- ما هذا....درهم واحد؟

- فلتلتقطه.

- حسنًا.

- وهذا درهم آخر.

تغيرت نبرة الطبيب معبرة عن استيائه الشديد من تلك الطريقة.

- لا تمزح معي وأعطني نقودي كاملة.

- أنا لا أمزح مع الأشخاص أمثالك....أنا أقتلهم.

ظهر شخص متشح بالسواد من خلف الطبيب، ممسكًا بخنجر غرسه في صدر الطبيب لتنسال دماؤه الساخنة، وتتسع حدقتا عينيه غير مستوعب ما يحدث، أنفاس أخيرة تخرج من حلقه مع بضع كلمات:

- لماذا...لقد نفذت رغباتك...لماذا؟

اقترب الكاهن من الطبيب الملقى أرضًا وهمس في أذنه قائلًا:

- لا يجب أن يكون هناك دليل واحد على ما نحن قادمون على فعله.

- من أنتم ...من معك؟

- نحن القادمون...نحن الخدام الجدد...نحن أبناء شجرة الرب.

- ولماذا ماركيدس...لماذا؟

- إنه اختيار الشجرة المقدسة ...لم نختره نحن ...إنها اصطفته لغرض ما ...هي وحدها من تعلمه...ولكن توقعي أنا أنه كبقيتكم لا فائدة منه، سواء هو أو غيره كان ليفعل ما نأمره به.

- إن شجرتنا المقدسة سوف تلعنك لسفك دمائي في معبدها...يا شجرة الرب أنقذين....

قاطعه صرخة من الكاهن عاتية قائلًا:

- أنا الرب... أنا من يقرر وليست هي ....أنا عيونها أنا قلبها وإحساسها ...ثوابها وعقابها ...والآن فلترقد روحك في سلام ...أتعلم أيها الطبيب...لكل دين شيطان...وأنا شيطان هذا الدين...ولم نسمع عن شيطان يتمنى السلام لروح تموت...فلتتعفن روحك في الجحيم.

***

يقف شريد مستندًا على أحد الأعمدة لدكان الحدادة، يداعب خصلة من شعره الكثيف، يقلد صوت زقزقة العصافير، يشعر ماركيدس بالإزعاج من حركاته الطفولية، فينظر له فيتوقف شريد، ويريد أن يشيح بنظره عنه فيعود لأصواته مرة أخرى، ثم تحدّث شريد

قائلًا:

- سيدي ماركيدس ....لقد أتممت عملي والعمل الإضافي ...هل لي

أن أرحل؟..سيدى ماركيدس ...أتسمعني؟

- أتتحدث إلي يا شريد؟

- نعم...أخبرتك أنني أريد أن أرحل.

- نعم ...يمكنك أن ترحل.

- وأنت ألن تعود إلى تامي؟

تساءل شريد وقد جلس بجوار ماركيدس:

- نعم ...تامي...الآن سوف أعود لها.

- ما بك يا سيدي...أخبرني.

- لا أعلم إذا كنت تستطيع مساعدتي أم لا؟

- حسنًا ...فلتجرب وتخبرني...ولا تنس ...أنا بطل (كالين) ...بالتأكيد عندي حل لمشكلتك.

ابتسم ماركيدس من جملة شريد، ثم تحدث بنبرة تحمل الكثير من التشاؤم:

- لا يوجد حل لمشكلتي.

- فقط أخبرني وسترى.

- لقد أخبرني الطبيب عن دواء ابنتي...إنها ثمرة من نوع ما.

- أخبرتك أنني أمتلك الحل...سوف أذهب إلى السوق الآن وأبتاع تلك الثمرة نعطيها لتامي ..فتتعافى إنها سهلة ...أنا بطل حقًّا.

- إنها ثمرة لا تُباع ولا تُشترى.

حك شريد رأسه وكأنه يفكر ثم أردف قائلًا:

- لا يوجد مشكلة....حتمًا إنها نبتة خاصة من نوع ما ...سوف أزرعها لك في حديقة منزلي، وسوف تنبت سريعًا نعطيها لتامي وتتعافى...كم أنا بطل رائع.

- إنها ليست نبتة يا شريد إنهـ

قاطعه شريد وقد هم واقفًا وهو يحك ذقنه تلك المرة، ثم تحدث بنبرة واثقة:

- حسنًا حسنًا ....لقد وجدتها، يبدو أن تلك الثمرة لا تبنت في أرض (كالين) ...إنها تنبت في تلك الأرض المجاورة لنا ....الأرض السوداء حيث السحرة والمشعوذون ...تلك الأرض التي لا يقوى أحد على الاقتراب منها ...ولكن لا تقلق يا صديقي...سوف أمتطى جوادي وأذهب سريعًا ..أقتل الشيطان الحارس لتلك الثمرة وأحضرها لك نعطيها لتامي فتتعافى...

- كفاك أعمالا بطولية يا شريد، فلتهدأ قليلًا ودعني أكمل ...إنها ثمرة من ثمار شجرة الرب.

- حسنًا حسنًا...سوف أمتطى جوادي ...أذهب للشجرة...ممم ..م. ماذا؟ قلت...شجرة الرب.

سرعان ما ظهرت علامات التوتر على شريد، وبدأ يتصبب عرقًا، ثم أكمل ماركيدس قائلًا:

- هذا ما أحاول أن أخبرك به أيها الأبله...إن الأمر ليس بسهل على الإطلاق.

- معذرة يا أخى، ولكن نفذت مني كل الأعمال البطولية...إن ما تخبرني به الآن إنه انتحار ..إنه خرق لقانون عظيم.

- ليس أمامي حل آخر.

- سوف تذهب إلى المعبد؟!! قالها شريد متعجبًا.

- سوف أذهب وأتسلق تلك الشجرة وآخذ ثمرتها، لن يلحظني أحد.

- ولكن ماذا عن الكهنة؟ ماذا عن الحراس؟ ...ماذا عن دكانك؟ هل ستتنازل لي عنها أكسب منها لقمة عيشي ..حين يقبض عليك.

- أنا سوف أعود يا شريد...يجب أن أعود من أجل ابنتي.

- أتمنى ذلك يا سيدي ماركيدس...متى سوف تقوم بذلك الأمر؟

- الليلة ...أنسب وقت هو الليلة، سوف أنتظر حتى يفرغ الكاهن الكبير من صلاته ويأخذ ملاذه من النوم، وسوف أتسلل إلى المعبد وأتسلق الشجرة.

- إنني أخاف عليك يا سيدي...بل أكاد أموت رعبًا ...أنت لست سيدي فقط...أنت أفضل صديق حظيت به يومًا.

- لا تقلق يا صديقي سوف أعود لك ...ولكن أريد منك شيئًا.. تامي...اعتني بتامي حتى أعود.

- لا تقلق يا صديقي...ألا تريد سيف البطل شريد حتى يحيمك...إنه

سيف مسحور يتمتع بمهارتي القتالية، ويقاتل وحده دون أن يحمله أحد.

- أخاف أن أفتقد دعاباتك تلك.

- حسنًا سوف أذهب أنا إلى تامي...وأنت توجه إلى رحلتك.

***

كان يقف على أحد أسوار المعبد ينتظر أن يفرغ الخادمان من الصلاة، ظل يتابعهما بعينيه وقلبه يدق خوفًا من أن يراه أحد، جبهته تتصبب عرقًا، عيناه زائغتان تنظران حوله، يشعر أنه سوف يتم القبض عليه.

ظل قابعًا مكانه حتى خرج الخادمان وقفز إلى المعبد، نظر إلى الشجرة فاقشعر جسده، وضم يده إليها وكأنه يطلب منها أن تصفح عنه، أمسك بجذعها القوي وكاد أن يتسلق ليقطف تلك الثمرة الناضجة أمامه، ولكن جاء من ورائه صوت كبير الكهنة قائلًا:

- أنا أشم رائحة غريبة...إنه ليس أحد خدام المعبد...من أنت يا هذا؟

لم يكن يعرف ماذا يجب عليه أن يفعل أيتحدث أم يصمت، فقرر أنه سوف يتكلم:

- سيدي كبير الكهنة...إنه أنا ماركيدس الحداد.

- وماذا تفعل هنا؟ ....إنه ليس وقت الصلاة.

- لقد جئت طالبًا العون يا سيدي...فهل يغلق باب شجرة الرب...في وجه رعاياها.

- بالطبع لا يا بني ...اقترب.

- أتسطيع مساعدتي يا سيدي كبير الكهنة.

- أغلق فمك الثرثار هذا ...ودعني أرى.

اقترب ماركيدس من الكاهن الذي وضع يديه على جبينه وقال:

- يا إلهنا العظيم...ما هذا الذي أشعر به...كيف تتحمل كل هذا الحزن وحدك...ما أجمل تلك الصغيرة...إنها مريضة...تامي...أليس اسمها تامي؟

- كيف عرفت اسمها ..كيف تشعر ما بداخلي؟!

- إنها احدى الهبات التي وهبتها لي شجرتنا المقدسة ...تجعلني أشعر بكل رعاياها بمجرد أن ألمس جبينهم ...إن تلك المسكينة الصغيرة تحتضر.

- وهذا ما جئت لأجله.

- سوف أصلى لها وأدعو شجرتنا أن تشفيها.

- لقد أخبرني الطبيب بأن دواءها موجود عندك.

- أي دواء؟ قالها عاقدًا حاجبيه.

- أن الدواء يوجد في إحدى ثمار شجرتنا...شجرتنا المقدسة.

- ولكن هذه خطيئة كبرى يا بني.

- أرجوك سيدي الكاهن...إن هذا أملي الأخير.

قالها باكيًا راكعًا أمام الكاهن.

- انهض يا ماركيدس... لا تتوسل هكذا ...ما أنا إلا عبد فقير من عبادها ...انهض ودعنا نفكر قليلًا.

- ماذا يمكننا أن نفعل؟

- حسنًا ...سوف أعطيك الثمرة المنشودة.

- اجاد أنت فيما تقول؟

- ولكن كي تأخذها يجب أن نقنع الملك أولًا.

- وكيف لي هذا؟

- سوف تأخذ ثمار التوت تلك إلى قصر الملك...إنها هدية منك له ...حتى نستطيع إقناعه بإعطائك ثمرة من ثمار الشجرة، وأنت تعلم أنه يعشق ثمار التوت...أخبره عن مشكلتك وهو يتناولها، وبالتأكيد سيوافق.

- أأنت واثق من هذا يا كبير الكهنة؟

- بالطبع يا ماركيدس ...وبهذا يكون اقتطافنا للثمرة شرعيًا مئة بالمئة ...ولن يقوى أحد على معارضة امر ملك (كالين).

- ولكنني أخاف أن يزج بي في سجن (كالين).

- إنه وعد كبير الكهنة يا بني ...لا تخف ...من أجل تامي.

- من أجل تامي...أعطني تلك الثمار.

أخذ ماركيدس ثمار التوت وهو يدعو بداخله أن تنجح في إقناع الملك، خرج من المعبد متجهًا إلى القصر، وكان الكاهن من خلفه يدعو له.

- اذهب في رحلتك يا صديقي...إن شجرتنا المقدسة تبارك لك وترعاك.. ها قد بدأ الأمر ...ماذا ...لا تنظري إلي هكذا ...أنا أفعل كل ذلك لأجلك أنت...أنت يا حبيبتي...يا شجرتي...أنا لا أعرف أحدًا غيرك هنا...أنتِ قلبي الذي ينبض داخل تلك الأرض المقدسة... فروعك تلك تحمل كل ذكرياتي وأيام شبابي، وثمارك التي تنبت خضراء ثم تتجه إلى اللون الأحمر تمثل أيام تحولي إلى الشيطان الأعمى، هكذا يدعوني عبادك ورعاياك.... ...أنا أحميكِ منهم ...يجب أن أغويهم حتى يرتكبوا الفظائع ...يجب أن تشنقيهم ...إنه الثمن يا شجرتي ...إنه ثمن عيني التي أخذتيها منى حين ولدت...كان يجب أن أرى مثلهم ...كان يجب أن أكون طبيعيًا ...أنا قد جلست بجوارك أشحذ الدراهم منهم .... حتى تجرأت وتنبأت بموت أحدهم عن طريق الصدفة...أخذت أقول هذا ما سمعته منكِ...وأنكِ من أخبرتني بذلك...جعلوني كاهنًا ...جعلوني كاهنك الأكبر...وأنا أعلم جيدًا...أن بداخلك تريدين أن تغفري لهم ...ولكن لن يحدث هذا.....أنا شيطانك الأعمى...قلت لا تنظري إليَّ هكذا...حسنًا ....لم أقصد أن أغضبك... اهدئي ...لا تبكي...لن يعلو صوتي مجددًا...لا تبكي...لا تبكي يا شجرتي.

5

وصل ماركيدس إلى حديقة القصر، كان ينظر لها ولثمارها بإعجاب شديد، أشجار نضرة وعشب أخضر ناعم، وتقبع في منتصف الحديقة نافورة مياه كبيرة، يقال إنها تستمد مياهها من نهر (كالين) مباشرة.

توقف أمام بوابة حديدية كبيرة هي محطته الأخيرة قبل مقابلة الملك، الغريب في الأمر أنه لم يجد أي حراس يمنعونه أو حتى يسألوه عن سبب تواجده في تلك الساعة المتأخرة.

شعر بسيف موجه إلى مؤخرة رأسه وصوت أنثوي يقول:

- من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

- لا تؤذيني ...فانا هنا لأقابل الملك.

- تقابل الملك...ألا تعلم أنه قد حل غروب الشمس...ولا يجب للعوام الخروج ....فإنه وقت الملوك.

- أعتذر يا سيدتي ....ولكن أنا هنا لمهمة محددة.

- استدر وانظر لي، لا تخف.

رفع ليرى وجهها الجميل وجسدها البض القوي.

- ما هذا الملاك الذي أراه...من أنتِ

- أنا ....أنا إحدى وصيفات الملكة سيلفيا.

- وهل الوصيفات بهذا الجمال؟

- احذر مما تقول....فمن الممكن أن تدفع حياتك ثمنًا لهذه المغازلة...لم أنت هنا؟

- أريد أن أقابل ملك (كالين) العظيم ...لأعطيه ثمار التوت...إنها هدية مني.

- ولماذا تلك الهدية؟

- أريد أن أساله شيئًا.

- أخبرني ...من الممكن أنا أن أساعدك ...فأنا مقربة لابنته سيلفيا ... سأطلب المساعدة منها لأجلك.

- حسنًا....إن ابنتي تحتضر ...وأخبرني الطبيب أن دواءها في إحدى ثمار شجرتنا المقدسة ....ذهبت للكاهن وأخبرني بدوره أن أعطيه تلك الهدية وأطلب منه أن آخذ الثمرة من الشجرة حتى أنقذ ابنتي.

- كم تبلغ ابنتك من العمر؟

- 10 سنوات.

- يا صغيرتي...حسنًا ...سوف أساعدك، ولكن تعدني بشيء واحد.

- أعدك.

- انتظر حتى تعرف ما هو هذا الشيء.

- أفعل أي شيء من أجل إنقاذ حياة ابنتي.

- حسنًا....من الممكن أن أحتاج منك المساعدة أنا أيضًا في شيء

ما ...أتعدني أن تقدمها لي.

- نعم بالطبع أعدك.

- لا يجب أن يعرف أحد بتلك المحادثة التي جرت بيننا.

- لن يعرف أحد.

- احسنت يا ماركيدس.

- كيف عرفت اسمي؟

ظهرت علامات التوتر على وجهها، ثم قالت مسرعة في محاولة منها لتصحيح الأمر.

- لقد أخبرتني به؟

- لم اذكر أنني أخبرتك به.

- حتمًا قد نسيت ...فإنك تفكر في ابنتك الصغيرة...أريد أن أسالك شيئًا؟

- تفضلي أيتها الجميلة.

- هل تؤمن بقوانين مدينتنا... ويوم حصادنا؟

- بالطبع...أؤمن بذلك...إنه تطهير لأنفسنا.

- ماذا تفعل إذا ألغي يوم حصادنا ...هل كنت ستوافق؟

- أتريدين أن أخبركِ بالحقيقة...أم أخبرك كما أخبر ابنتي.

- الحقيقة فقط الحقيقة....ولا تخف لا يوجد هناك من يسمعنا.

تحدث ماركيدس حالمًا:

- يراودني حلم ما كل ليلة...أرى مدينتنا خالية من أي دماء، أراها خالية من أي مشانق معلقة....أراها بلا حصاد...هذا ما أتمنى أن يحدث في الحقيقة...إن طريقة العقاب تلك بشعة جدًا...وكيف لنا أن نقتل شخصًا ما لمجرد أنه شعر ببعض الظمأ...كيف نقتل شخصًا ما لمجرد أنه أراد أن يستمتع ببعض الهواء ليلًا في مدينته...أشعر أحيانا أن الطبقة من الحكام تحدد لنا مسارًا معينًا كي نتخذه سبيلًا ...وأشعر أنهم يحددون لنا حيزًا معينًا من الهواء كي نتنفس منه... وإذا ازداد ذلك الحيز نقتل...أشعر أحيانا ...أننا لا نستحق هذا...نحن أفضل من ذلك...نحن بشر يا سيدتي...لا يجب أن نعامل هكذا...يجب أن نتكلم ...يجب أن نتنفس القدر الكافي حتى نستطيع أن نحيا.

اعتلت قسمات وجهها الغضب الشديد وصرخت به قائلة:

- توقف يا ماركيدس...أنت لا تدري ما تقول... ألا تخاف أن يسمعك أحد، ألا تخاف أن يزج بك في السجن...إننا يجب أن نحترم رغبات الملوك...يجب ألا نعصاهم...هكذا علمنا أجدادنا ...دعنا من كل هذا الكلام...سوف أذهب لأدبر لك أمر مقابلة الملك.

- إنها مجرد هواجس تأتي إليّ...لا أعرف لماذا أخبرتك بهذا...وعلى كل الأحوال....أنا مقدر مساعدتك تلك ...شكرًا لكِ يا... ما اسمك.

- سوف تعرف عما قريب.

تركته وذهبت بعيدًا عن مرمى بصره، فتابع طريقه إلى الملك،

ليجد ولأول مرة حارسًا ممسكًا برمح كبير يقف عند الباب، في البداية رفض دخوله لمقابلة الملك، ولكن عندما أخبره أنه قد أحضر ثمار التوت إلى الملك سمح له بالدخول.

دلف إلى القصر الكبير ليجد الملك جالسًا على عرشه، وعلى جانبي العرش خادمان يستخدمان مراوح ريشية كبيرة ليجمعا نسمات الهواء للملك.

تقدم ماركيدس منحنيًا قائلًا:

- سيدي ومولاي ملك (كالين) العظيم.

- من أنت؟

- انا ماركيدس الحداد، وقد أحضرت لك تلك الهدية من ثمار التوت الطازجة.

- ثمار التوت.

طرق أصبعيه لأحد الخدام ليحضر الثمار سريعًا، أخذها من الخادم مسرعًا وبدأ في التهامها، تحدث إلى ماركيدس والثمار تملأ فمه:

- ما أجمل تلك الثمار...اطلب ما شئت يا بني.

- إن ابنتي مريضة وتحتاج إلى دواء.

- سوف آمر بصرف مبلغ من المال لك.

- لا أريد مالًا ...انا أريد ثمـ

لم يكمل ماركيدس طلبه من الملك حتى سقطت الثمار من يد

الملك، وبدأ يتألم ويصرخ عاليًا.

- ما الذي يحدث لي...إن معدتي تؤلمني.

- مولاي ماذا بك؟

- ابتعد عنى ...يا حراس ...سيلفيا... أنجدينى يا سيلفيا.

على أثر استغاثته بها دلفت سيلفيا إلى القاعة لتجد أباها ملقًى أرضًا يتألم، ركضت تجاهه مسرعة.

- أبي... ماذا بك يا أبي؟

نظر لها ماركيدس متعجبًا حينما أدرك أنها هي من رآها بالخارج، صرخت سيلفيا به قائلة:

- ماذا فعلت له؟

- لقد دس لي السم ...أنا اموت يا سيلفيا. قالها الملك.

- اقبضوا عليه أيها الحراس. قالتها سيلفيا آمره.

- أنا لم أفعل شيئًا ...إنها مؤامرة ما ...

- فلتصمت الآن.. خذوه إلى السجن حتى نرى ما أفعله به.

- لقد تآمروا علي يا سيلفيا.

- مَن الذي تآمر عليك يا أبي؟

- هذا ما يجب أن تعلميه أنتِ ...أحضري لي الطبيب لعله يداويني.

- كنت أتمنى أن أفعل ذلك ...ولكن الطبيب قد قتل.

- قتل...كيف ذلك؟

هنا تغيرت نبرة سليفيا لتصبح أكثر صرامة، واختفت علامات القلق المزيفة التي كانت ترسمها على وجهها.

- لقد أمرت لليانا بقتله ...حتى أمحو أي دليل على ما فعلته.

- ما فعلتيه!!

- نعم يا أبي ...أنا من قتلتك وليس ماركيدس ...ولم أقتلك وحدي.

- من معكِ أيتها الشيطانة؟

- لا يوجد شيطان غيرى هنا.

كان كبير الكهنة صاحب تلك الجملة، قالها حين دلف إلى القاعة واتجهت سيلفيا لتمسك بتلابيب أبيها قائلة في غضب:

- كان يجب أن نفعل ذلك ...أنت تريد أن تجعلهم يمسكون زمام الأمور...تريد أن تلغي قوانيننا التي نبتت مع الشجرة المقدسة...تريد أن تهدم مدينتنا بضعفك ... ولكننا لن نسمح لك.

- سوف تندمون على فعلتكم هذه.

- الشجرة تعطينا حياة ونحن نعطيها عبادة....أتذكر تلك الكلمات التي دومًا ما رددتها لي ...ولكن يبدو أنك توقفت عن عبادتها، لذلك سلبت منك الحياة...فلتمت يا أبي...فلتمت أيها الملك الضعيف ويبدأ عهدي أنا ...الملكة سيلفيا.

- لقد مات ملك (كالين).

- هذا خطأ أيها الكاهن...لقد قُتل الملك بالسم الذي دسه له الحداد ماركيدس، ويجب أن يكون ماركيدس عبرة لأي خائن آخر.

- ماذا تقترحين أن نفعل به أيتها الملكة؟

- سوف يكون ماركيدس....ضيف شرف يوم حصادنا القادم...

- أمر مولاتي...

- ليس هذا فقط...يزج بالسجن كل من كان يتبع أبي من وزراء وقادة حتى يفسحوا الطريق لأتباعي، لليانا هي قائدة جيشنا.

تنفست سيلفيا الصعداء، ثم وقفت أمام جثة أبيها وتحدثت وهي ترفع رأسها وتضع قدمها على جسده.

- فلترقد روحك في سلام يا أبي...اشهدي يا شجرتنا المقدسة على ميلاد فجر جديد، فجر سيلفيا ...الملكة سيلفيا التي سوف تضع سيفها في عنق أي خائن أو عاص...سوف تزهق الأرواح لاجلك... سوف تعلق أعناق من يعترض، سوف تأخذ منهم أكثر مما تعطي...إننا أبناء شجرة الرب القادمون الجدد...سوف يصبح جيشنا من النساء فقط ...لا وجود للرجال الضعفاء بيننا ...ومن يعترض منهم على ذلك يعدم على الفور دون أن ينتظر حصادًا...الشجرة تعطينا حياة، ونحن نعطيها عبادة..

***

داخل السجن يجلس ماركيدس باكيًا، يصرخ من حين إلى آخر في الحارس أمام زنزانته، يخبره أنه تعرض للخداع، وأن ابنته مريضة،

يجب أن يخرج لها، ولكن دون جدوى، مر يومان على وجوده في السجن، لم يستطع أن يطمئن على تامي صغيرته، حتى جاءه شريد.

- سيدى ماركيدس...ما الذي فعلته ...أتقتل الملك...أجننت؟

- أنا لم أقتل أحدًا يا شريد....أنا ضحية لمؤامرة خبيثة ...أخبرني عن تامي كيف حالها الآن؟

- تامي...إنها...

- يحاول شريد إخفاء وجه ويبعد عينيه عن مواجهة عين ماركيدس، ولكن في النهاية لم يستطع أن يمنع دموعه من أن تنهمر.

- أرجوك لا تخبرها بما حدث...ولا تأتى بها يوم الحصاد إلى المعبد... لا أريدها أن تراني هكذا.

- هي لن تراك في كل الأحوال.

- بماذا تحاول أن تخبرني؟

- لقد فارقت تامي الحياة....لم تستطع أن تتحمل الألم أكثر من ذلك...أنا آسف يا صديقي.

- يا صغيرتي.

صرخ ماركيدس باكيًا، لا يستطيع أن يتوقف عن النحيب، ظل يضرب الأشياء من حوله ويصرخ متألمًا، أمسك بقلبه حين شعر بألم به، لقد فارقت الحياة قطعة من روحه، حاول شريد أن يهدئه قائلًا:

- تمالك نفسك يا ماركيدس.

- إنها مجرد طفلة ...كيف لها أن تموت...لقد كنت ذاهبًا لأحضر لها الدواء ...ألم تستطع أن تنتظرني قليلًا...أنا كنت قادم...سامحيني يا تامي...سامحي أباك...أقسم لكِ أنني كنت قادمًا. أقسم لكِ أنني كنت قادمًا.

- لقد طلبت منى أن أعطيك هذا...إنها قلادتها.

- هل تألمت كثيرًا يا شريد...هل عانت طفلتي الصغيرة؟ تساءل بعين دامعة وصوت ناحب

- لقد كانت تفتخر بك وتحبك يا صديقي...فلتصلِّ لها ..كي تجد بوابة العبور إلى العالم الآخر في أسرع وقت ...صلِّ لشجرتنا المقدسة ...صلِّ للإله.

- إلى أي إله أصلي ...إلى مَن سلبني ابنتي...إلى مَن خدعني ... إلى مَن رفض صلاتي كل ليلة حتى يشفيها...لا يوجد إله هنا ...إذا كان موجودًا ...لماذا لم يوقفهم عن ما فعلوه بي ..لماذا لم يشفها... أنا غاضب منه، أنا لا أريده في حياتي مرة أخرى ...لن أصلي له بعد اليوم...أنا كافر به وبعبادته، هو أول مَن قتلها، هو أول مَن خدعني، لا يجب أن يعبده أحد بعد اليوم، حتى لا يخذله مثلما خذلني...الجميع يقدسه، الجميع يهاب شجرة الرب...وأنا اقسم بقداسة شجرة الرب تلك...أنني في يوم ما سوف اقطعها بسيفي من جذورها، لتغوص غارقة في نهر (كالين) ...لا يوجد شجرة الرب بعد اليوم ...أنا كافر بكِ.

6

صوت الأمطار الغزيرة قد أرهب الكائنات الصغيرة، جعلها تهرب إلى جحورها سريعًا لتحتمي من البرد القارس في (كالين)، أما عن ذلك الفأر الصغير، فقد كان يقف على حجر صغير والأمطار تهطل على رأسه، وكأنه كان مستمتعًا بما يشعر به الآن.

ركض مسرعًا إلى داخل كهف كبير، نظر أمامه ليجد المشاعل قائمة بنيرانها، تقدم أكثر ليرى شخصًا مستلقيًا على الأرض، فبدأ بفحصه بأنفه، ثم قضم قضمه من أصبعه الصغير، فتألم النائم الذي نهض صارخا.

- تامي.

كان هذا ماركيدس في كهف كبير وغريب، لا يعلم ما الذي أتى به إلى هنا، أمسك برأسه فوجد بقايا دماء، استند على الجدار وتقدم بخطوات بطيئة، شعر أنه قد سمع صوتًا أنثويًا قادمًا من داخل الكهف، ظل يتبعه حتى وجد امرأتان تجلسان، نظر حوله ليجد سيفًا فأمسك به واتجه إلى إحداهن والتي كانت مولية ظهرها وأمسك بها واضعًا السيف على رقبتها.

- من أنتما...ولماذا أنا هنا؟

- ما الذي تفعله...اتركها.

- لن اتركها حتى أعرف من أنتما ...هل أنا مت...هل هذه الحياة الأخرى...لا أرى رجلًا واحدًا هنا ...

- اهدأ...اهدأ يا رجل ...واترك السيف والفتاة.

- قلت لن أتركها حتى أعرف من أنتما.

- نحن من أنقذناك من يوم الحصاد.

- وكيف هذا...وسيلفيا تركتكما بتلك السهولة.

هنا تحدثت الفتاة الموضوع السيف على رقبتها:

- نحن جماعة سرية...تُدعى: ذو العباءات الحمراء...نحن نتصدى لذلك اليوم نحن ننقذ الناس من يوم الحصاد، أنا أدعى بكلتا، وهي سيلينا مؤسسه الجماعة.

اقتربت منه سيلينا وأمسكت بيده وقالت:

- اتركها وسوف أخبرك بكل ما حدث يوم حصادك.

***

يقف الكاهن أمام شجرة الرب، وعلى يمينه يقف ماركيدس وقد أمسك به حارسان، وتقف سيلفيا بجواره تبكي بتصنع شديد، قال الكاهن:

- إنه يوم خلاصكم وتطهيركم من المذنبين والخونة، يجب أن يكونوا عبرة لكل شخص تسول له نفسه أن يخترق قوانيننا، أو يسرق أو يقتل أو يخون...نحن نحبكم يا شعب (كالين)، نحن نخلص لكم، والآن جاء دوركم كي تخلصوا لنا.

- أحضر قرابيننا يا كبير الكهنة.

قالتها سيلفيا وحين دلفت باقي القرابين من البشر تابعت وقالت:

- تلك الفتاة التي أمامكم قد اخترقت أحد قوانيننا لقد شربت من مياه النهر ...أما ذلك الرجل فقد كان يتجول بعد غروب الشمس..مدعيًا أنه كان عائدًا إلى عمله...ولكنني أتيقن أنه كان يخطط لمؤامرة ما...أما هذا ماركيدس الحداد صانع سيوف جيشنا... فهو ضيف شرفنا اليوم، لقد اخترق قوانين (كالين) كلها...اقتطف ثمرة من ثمار شجرة الرب.

حينما أنهت حديثها عن ماركيدس هلل الحضور وعلا صوت الضجيج.

- اهدؤوا اهدؤوا...ليس هذا فقط، كان يتجول بعد غروب الشمس، ونظر لملكته دون حياء وغازلها أيضًا ...وفوق كل هذا هو الذي قتل ملككم.

تحدث ماركيدس غاضبًا في محاولة منه للدفاع عن نفسه:

- أنا لم أقتل أحدًا...أحضروا لي طبيب (كالين) ...سيدي الكاهن أنت تعلم كل شيء.

- اصمت يا مذنب...أنا أشم بك رائحة الخيانة، سوف تموت الآن.

- ارفعوا المشانق فوق شجرة الرب.

قالتها لليانا صارخة في الحراس، فرُفعت المشانق وأمسك كل حارس بقربانه، ووضع الحلقة الكبيرة، ثم بدأ الكاهن في الصلاة، وركعت سيلفيا أمام الشجرة وهي تبتسم ناظرة إلى ماركيدس ثم

همست قائلة:

- لقد حانت اللحظة التي ننتظرها يا كبير الكهنة.

وسط الجموع كان هناك شخص يتحرك مغطى الرأس، يرتدي عباءة حمراء في نفس لحظة سحب المشانق أخرج خنجرًا صغيرًا ألقى به على حبل ماركيدس، فانقطع الحبل وسقط ماركيدس أرضًا مغشيًا عليه.

نظرت سيلفيا خلفها لتجد عدة أشخاص يرتدون عباءات حمراء، يتوجهون إلى الشجرة، يحاولون توجيه الأسلحة تجاهها، ركض الكاهن مسرعًا إلى داخل المعبد أما سيلفيا، سحبت سيفها وسرعان ما قام باقي الحواس بنفس الأمر.

هنا كشف ذو العباءات الحمراء عن وجوههم، لتظهر سيلينا وبكلتا، اتجهت بكلتا إلى ماركيدس، أما سيلينا فتوجهت بسيفها إلى سيلفيا، وظلا يتبارزان حتى أصيبت سيلينا في ذراعها الأيسر.

ألقيت كرات ضبابية من فوقهم، فاستطاع ذو العباءات الحمراء أن يهربوا بماركيدس متجهين إلى الأرض البعيدة.

***

- تذكرت الآن كل شيء؟ قالتها سيلينا.

- نعم تذكرت كل شيء. ولكن من أنتم، ولماذا تفعلون هذا؟

- اسمى سيلينا...وقد كنت أحد سكان (كالين) في يوم من الأيام حتى قتلوا زوجي...كان أحد خدام المعبد يدعى أريز، كل ما اقترفه

أنه شعر ببعض الظمأ فشرب من نهر (كالين)... كان سيموت لو لم يحظ ببعض قطرات من الماء...فأمر كبير الكهنة أنه سوف يقدم للحصاد...شنق زوجي أمام عيني، ظللت بجواره وأنا أرى دماءه تتسرب منه شيئًا فشيئًا، شعرت بكم الظلم الذي نعاني منه ..إنه لم يكن يستحق منها ذلك ....إنه خادمها ..قررت حينها أنني لن أدع احدًا يقتل في يوم الحصاد...سوف أنقذ الجميع.

- يبدو أننا نتشارك في كفرنا بتلك الشجرة...وكيف قمتِ بجمع كل ذلك الجيش؟

- قمت بنشر فكرتي عند أقرب الناس لي، وبدأت الدائرة تتسع شيئًا فشيئًا .. وقررنا أن نسكن الأرض السوداء حيث إنه لا يقوى أحد على القدوم إلى هنا ...فكنا نستطيع أن نتدرب ونرسم مخططاتنا دون أي قلق أو خوف ...ولكن كان ينقصنا شيء واحد وما زال.

- ما الذي ينقصكم؟

- الأسلحة يا صديقي...السيوف، لم نعد قادرين على أن نبتاع السيوف ولا يوجد أحد هنا يستطيع صنعها.

- لا عليكِ....أنا سوف أساعدك...ولكن يجب أن تساعديني أنتِ الأخرى.

- ماذا تريد؟

- أريد أن أنتقم لروح ابنتي ...اريد أن اقتلهم جميعًا ...لقد خدعوني وجعلوا ابنتي تعاني حتى فارقت الحياة، وكانوا يريدون قتلي حتى

لا أكون شاهدًا على ما فعلته سيلفيا وكاهنها

- أنا سوف أساعدك...ولكننا نحتاج إلى سيوف وحراب كثيرة.؟

- لا تقلقي...سوف يذهب أحدهم إلى دكاني، هناك سوف يجد شريدًا ...يجب أن يأتي به ...وهو سيفعل ما آمره به ...سوف نصنع لنا ولجيش العباءات الحمراء السيوف.

- ماركيدس ...أنت بذلك تخاطر بكل شيء.

- لم يعد هناك ما أخاطر به...يجب أن آخذ بثأر تامي.

- حسنًا...بكلتا ...يا بكلتا.

تدخل بكلتا بعباءتها الحمراء تنظر إلى ماركيدس في غضب ملحوظ، ثم وجهت نظرها إلى سيلينا متسائلة:

- ماذا هناك يا سيلينا؟

- اذهبي إلى دكان ماركيدس في (كالين) سوف تجدين هناك شخصًا يدعى شريد...أحضريه إلى هنا.

- حسنًا يا سيلينا

- والآن يا ماركيدس ...أتركك لترتاح قليلًا.

لا يعلم ماركيدس كم من الوقت قد غابت عيناه، ولكن حين استيقظ اتجه مسرعًا إلى سيلينا يخبرها أن تجمع له جيشها ليدربهم على القتال، وبدأ فعلًا في تنفيذ الأمر، كان يرى أمامه تامي ولا أحد غيرها.

مر يومان حتى جاءت بكلتا بشريد، دلف إليه ليرى سيده حيًا يرزق، فاحتضنه بشدة قائلًا:

- سيدي ماركيدس ...لم أصدق حين أخبروني أنك تنتظرني هنا .. أتدرى أين نحن؟

- في الأرض السوداء.

- كيف نجوت من يوم الحصاد؟

- إنها قصة طويلة يا صديقي...ولكنني أحتاج لعونك الآن.

- ماذا تريد؟

- ألا تريد أن تصبح بطلًا؟

- بالطبع أريد...ولكن أيمكنك التوضيح قليلًا.

- سوف نصنع أنا وأنت سيوف وحراب كثيرة...حتى نستطيع أن نتصدى لجيش سيلفيا.

- أنت تريد محاربة الملكة. قالها شريد عاقدًا حاجبيه وقد ارتجف قلبه.

- أنا أريد أن آخذ بثأر تامي...هل ستساعدني؟

- أنت تعلم أنني معك في أي شيء...ولكن هذا آمر به خطورة كبيرة.

- لا تقلق نحن لسنا وحدنا ...هناك جيش العباءات الحمراء، هم من أنقذوني، وسوف نتصدى لظلم سيلفيا معًا.

- وأصبح شريد البطل ...الذي أنقذ (كالين) من خطر محقق.

- والآن أريدك أن تذهب أنت وباكاتا إلى الدكان، وتحضر الأدوات دون أن يراك أحد.

- من بكلتا؟

- الفتاة التي أحضرتك إلى هنا.

ظهرت على وجه شريد ابتسامة بلهاء، واحمرت وجنتاه قائلًا في بلاهة واضحة:

- لا تقل فتاة....بل قل ملاكًا.

- أنا ذاهب إلى سيلينا الآن...يجب أن نتحرك في أقرب وقت.

خرج ماركيدس وترك شريد هائمًا حالمًا ببكلتا، حتى وجدها أمامه، كانت طويلة القامة، ذات نظرة ثاقبة وشعر أصفر، يصل طوله إلى نصف ظهرها، قالت في حزم واضح:

- هيا يا شريد...لا يوجد وقت كي نضيعه.

- إننا نمتلك كل الوقت ...كي نتزوج وننجب أبطالًا صغارًا.

- نتزوج!!

- نعم...فأنتِ كما تعلمين بطل (كالين) العظيم ...وأنا من سيصنع لكم السيوف ...وأنا هو فارس أحلامك.

- لم يخبرني ماركيدس...أنك أحمق هكذا.

- صدقيني أنتِ لن تري أحمق مثلى...شعر بحبك بداخلي من أول نظرة.

- لا يوجد وقت لسخافاتك تلك...هيا بنا أيها الأحمق.

- هيا يا بنا يا زوجة البطل.

7

جاء الليل معلنًا عن نفسه بظلام لم تشهده (كالين) من قبل، كان كبير الكهنة يقف وسط معبده يتحسس جذع الشجرة المقدسة، لا يعلم لماذا اليوم تحديدًا الذي يشعر باشتياق لها، جاء صوت من خلفه لخطوات ثابتة، وجّه رأسه لها، ولكن شعر أن مكان الخطوات يتغير، فوجّه رأسه مرة أخرى.

زاد الأمر حيرة ورعبًا داخل قلبه، حين ضرب البرق والرعد أحد أعمدة المعبد، فصرخ قائلًا:

- من هنا؟

- إنه أنا؟

جاءه صوت غليظ فقال:

- ماذا تريد يا بني؟

- أريد علمك يا كبير الكهنة.

- لقد انتهى درس اليوم...فلتأت غدًا.

- وهل يغلق باب شجرة الرب في وجه رعاياها.

- بالطبع لا ...ولكنني متعب الآن.

- ألن تضع يدك على جبيني لترى ما بداخلي أيها الكاهن.

- لحظة....أنا أعرف تلك الكلمات...وأعرف ذلك الصوت ...من أنت؟

ارتعشت أوصاله وشعر أنه وسط خطر محقق، فجاءه رد ماركيدس قائلًا:

- أنا من سينهي حياتك...أنا من وضعته داخل مؤامرتك الدنيئة ... دون أي ذنب.

- أنت الحداد.

- ألم يخبرك الإله أنه أنا منذ البداية...ألم يجعلك تشعر بي ...ألم يخبرك أن تقتلني أولًا.

- أيها الحراس...أيها الحراس.

- لن يسمعك أحد ...لا يوجد غيرنا في المعبد.

- كل شيء له ثمن يا ماركيدس...وأنت كنت الثمن.

- أنا لا أريدك أن تخاف...لا يوجد ما يدعو للخوف.

- ستقتل رجلًا عجوزًا يا بني...أعزل من السلاح.

قالها بنبرة هادئة في محاولة منه لاستعطافه.

- أنت محق في ذلك الأمر...خذ هذا السيف....وقاتل من أجل حياتك.

يمسك يده ويعطيه السيف.

- لا أستطيع ذلك ...أنا لا أرى.

- اجعل شجرتك تساعدك في رؤيتي.

أخذ كبير الكهنة يلوح بالسيف يمينًا ويسارًا.

- توقف يا ماركيدس.

- أنا هنا... ألا تراني.

قالها ماركيدس وهو يجرحه في كتفه الأيمن فيصرخ كبير الكهنة متألمًا.

- لا يجب أن يحدث هذا ...لم أكن أعلم، كنت أساعدك بالفعل ... كنت أريدك أن تنقذ تامي.

- لا تتجرأ وتنطق باسمها.

صرخ به ماركيدس وهو يجرحه في قدمه اليسرى.

- أنا لم أفعل شيئًا ...سيلفيا هي التي أجبرتني أنا والطبيب أن نستدرجك.

- أنت فعلت كل شيء أيها الشيطان.

قال جملته الأخيرة وقد غرس السيف في صدره فسقط متألمًا، دماؤه انسابت على أرض المعبد لترسم خطًّا طوليًا ممتدًّا إلى الشجرة.

- ماركيدس...ماذا فعلت أنا أموت...لا ...لا يجب أن أموت هكذا ..لا يجب أن أذوق ذلك المرض الملعون، أنا إله والإلهة لا تموت...هي لا تسوي شيئًا من غيري، أنا من يمدها بالقوة أنقذيني. لا تتخلي عني... يا شجرتي ...(يصرخ) من أنتم...ابتعدوا عني ...لا تأخذوني...أنا

عبدها ...أنت شياطين ...أهذه تكون أشكالكم...لا ..لا ...الإله لا يموت ...الإله لا يجب أن يموت.

- لقد أخذت الشياطين روحك، وهذا ما تستحقه ...وبهذا أخذت بنصف ثأر ابنتي.

***

مشهد عظيم يجمع بكلتا وشريد وهما يقفان وسط مئات من السيوف والحراب المصنعة من قبل شريد، كان شريد يقف متفاخرًا بصنع يديه، ويلوح بها يمينًا ويسارًا، أما بكلتا فكانت تنظر إليه وتبتسم، ولكنها كانت تخفي بسمتها عنه.

لا تعلم هل حقّا أُعجبت بهذا الشخص البهلواني أم لا، إن شريدًا له روح مرحة ودعابات مضحكة حقًّا، ولكنها قد أغلقت ذلك الباب المدعو بالحب، فهي الآن تعيش حياة عسكرية صارمة، تحارب من أجل إظهار الحق وإنقاذ حياة الأبرياء من ظلم وقهر قوانين لا تعلم مصدرها.

اقترب منها شريد وجلس بجوارها، كان يحمل بيديه نصف كسرة من الخبز، نظر إليها ثم نظر إلى بكلتا وابتسم، حاول أن يقسم كسرة الخبز بالتساوي، ولكن انقسمت إلى جزئين غير متساويين، فابتسم مرة أخرى، ثم أعطى الجزء الأكبر إلى بكلتا، تناولته وهي تبتسم ثم تحدث بنبرة تحمل الكثير من الفرح والتفاؤل:

- وبهذا يا بكلتا يكون عدد السيوف قد اكتمل.

- أحسنت صنعًا يا شريد...أنت مميز في عملك حقًّا.

- بل أنا مميز في أشياء كثيرة....فأنا بطل (كالين).

تعالت ضحكاتها ثم ضربت على كتفه الأيسر، فأمسك بكتفه متألما مع ابتسامة، فقالت بكلتا:

- أتصدق نفسك لتلك الدرجة السخيفة؟

- بلى يا عزيزتي...ومن حسن حظك أن البطل قد اصطفاك حبيبته من بين كل نساء (كالين).

- حبيبته!!...إنك تهذي حتمًا.

- أنا لا أهذي ...أنا قد وقعت أسيرًا لعينيكِ.

احمرت وجنتاها خجلًا وظلت تفكر متى آخر مرة قد شعرت بذلك الشعور الجميل، ولكن سرعان ما عادت إلى جديتها قائلة:

- لا يوجد وقت للحب أيها الحداد...ألا تعلم بخطورة ما نحن قادمون على فعله.

- دائمًا هناك وقت للحب...دائمًا هناك وقت لبعض المرح.

- اصمت يا شريد...انا لا أحب...ولن أحب أحدًا.

كاد شريد أن يبكي حقًّا من غلظتها ولهجتها الشديدة، فهو طيب القلب رغم كل شيء، ولكن دلفت سيلينا لتقتحم خلوتهما قائلة:

- ما أخبار سيوفنا يا بكلتا؟

- كل شيء جاهز...نحن على أتم استعداد.

- متى سوف نتحرك يا سيلينا ...وأين ماركيدس؟

تساءل شريد فأجابته سيلينا:

- ماركيدس... قد عاد من (كالين)... لقد قتل الكاهن.

- فعلها أيضًا ذلك الأحمق...أخبرته ألا يذهب وحده.

- لقد رفض أيضًا أن يصحبني معه.

قالتها سيلينا فتحدثت بكلتا قائلة:

- إن الأخبار حول جماعتنا بدأت تتنقل داخل (كالين)...هناك بعض الناس يؤيدونا فيما فعلناه.

- وماذا تقترحين أن نفعل الآن؟

- فلنبدأ بتجهيز جيش ذي العباءات الحمراء...سوف ننطلق اليوم إلى (كالين).

8

أصوات الأبواق في مدينة (كالين) وصلت إلى أوجها، دقت طبول الحرب، واشتعلت المشاعل، جيش عظيم من النساء بقيادة لليانا يقف على أبواب المدينة، القناصات يقفن أعلى الأبراج على أهبة الاستعداد، أما سيلفيا فكانت تقف بسرية من الجيش أمام معبد شجرة الرب، أمرت سيلفيا بحماية الشجرة ونهر (كالين) قبل أي شيء.

أما على الجهة الأخرى فكان ماركيدس يقف بجيشه، وبجانبه بكلتا وشريد، أما سيلينا فتقدمت هي سرية أخرى من ذي العباءات الحمراء ليتسلقوا الجدار الخلفي للمدينة، ويقبع خلف هذا الجدار مباشرة معبد شجرة الرب.

أمسك ماركيدس بصهوة جواده، وتقدم وسط جيشه، وقال بصوت جهوري:

- اليوم أو لا يا شعب كالين، إن كان هناك خائف بيننا فليعد أدراجه، ولن نلومه، يجب أن ننهي تلك العبودية، يجب أن نقضي على ذلك الإله المزيف، حتمًا هناك إله، ولكنني أوقن بداخلي أنه ليس تلك الشجرة، لا يوجد شجرة تعطينا حياة حتى نعطيها عبادة.

هلل الجيش تعبيرًا عن حماسهم رافعين سيوفهم إلى الأعلى، ثم تحرك شريد وسط الجيش هاتفًا بأعلى صوته.

- من أجل تامي.

فردد الجمع من خلفه:

- من أجل تامي.

ابتسم ماركيدس ثم أمر الجيش أن يتوجه إلى بوابة المدينة.

***

يحاول جيش سيلفيا أن يمنع الباب من أن يتحطم، ولكن دون جدوى، فلقد تهشم الباب الكبير، وظهر من خلفة سرية صغيرة من جيش العباءات الحمراء، وهم ممسكون بجذعين من النخل استخدموهما في تحطيم الباب.

التحم الجيشان وقتل من قتل، وقد توالت الأسهم عليهم من كل حدب وصوب، أصابت من أصابت وقتلت من قتلت.

ركض شريد تجاه المعبد حين لاحظ تمكن سيلينا من دخول المعبد، ولكن وجد سيلفيا قد انقضت على بكلتا وكادت أن تطعنها، ولكنه استطاع أن يرد سيفها، أما ماركيدس فقد توجه هو الآخر إلى المعبد، وأصبحت سيلفيا ولليانا في منتصف حصار من شريد وسيلينا وبكلتا وماركيدس.

ابتسمت سيلفيا ابتسامة ساخرة، ثم أخرجت سيفًا آخر فأصبحت تحمل بيديها الآن سيفين، فلقد تعلمت مهارة المبارزة بيديها الاثنتين، انقضت تجاه سيلينا وماركيدس، أما لليانا فركضت تجاه شريد وبكلتا.

أظهر شريد شجاعة عظيمة في مبارزة لليانا، ولكنها كانت الأمهر،

حيث ضربته بقدمها ليسقط أرضًا وألقت بسيف بكلتا بعيدًا، وسقطت بكلتا هي الأخرى أرضًا، ثم قفزت لليانا صارخة لتهوي بالسيف في صدر بكلتا، ولكن ركض شريد مسرعًا ليأخذ هو ضربة السيف بدلًا منها.

صرخت بكلتا كما لم تصرخ من قبل، ذرفت دموعها، وسرعان ما حملت خنجرًا صغيرًا ولا تعرف من أين أتت لها تلك القوة والسرعة في أقل من الثانية أمسكت برأس لليانا وجزت عنقها.

توجهت إلى شريد، بكت وهي تراه يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- شريد، شريد.

- لا تخافي هكذا...أنا بطل، والبطل لا يموت.

- اصمت أيها الأحمق ...أرجوك لا تمت الآن.

- سوف أنتظرك ...سوف نجتمع سويًا مرة أخرى.

- أنا أحبك يا شريد.

- أنا أعلم أنكِ تحبيني كثيرًا...ليس هناك امرأة واحدة تقدر على مقاومة سحر شريد البطل.

- شريد ...انهض معي يا شريد.

- بكلتا...حبيبتي ...لا تدعيهم يكسبون تلك المعركة، لأجلى...لأجل (كالين).

- لا ...لا تتركني الآن ..لقد أحببتك من البداية أيها الأحمق.

سقط ماركيدس أرضًا وتبعته سيلينا، فوقفت سيلفيا متفاخرة بسيفيها قائلة:

- يبدو أن عدد القتلى سيزداد اليوم...سوف أحقق رقمًا قياسيًا.

- لا أحب أن أراكِ تتحدثين.

قالها ماركيدس وتلقى ضربة من سيلفيا.

- سوف ينتهي ظلمك الآن يا سيلفيا.

قالتها سيلينا ثم تلقت ضربة على سيفها من سيلفيا.

- لن تحكمي تلك الأرض مجددًا.

- لقد استطعت الهروب مرة من حصادي...لكنك سوف تشنق على تلك الشجرة.

- إذا كان هناك ما يجب أن يشنق على شجرة الرب...فهو أنتِ يا سيلفيا.

نظر كل من ماركيدس وسيلينا إلى بعضهما البعض، ويبدو كما لو تواصلت أفكارهما سويًا نظر ماركيدس حوله ليجد درعًا ملقًى فالتقطه سريعًا ثم ألقاه بوجه سيلفيا لترفع قدمها وتضربه بعيدًا وتقول:

- أنت لست ندًا لي، لن تستطيع أن تصيبني أيها الأحمق.

ابتسم ماركيدس بسخرية ثم قال:

- لم أكن أريد أن أصيبك.

نظرت سيلفيا خلفها لتجد سيف سيلينا وقد غرس في قلبها، أما ماركيدس فركض إليها وغرس سيفه من ظهرها لتخور قواها وتسقط أرضًا ويصرخ ماركيدس قائلًا:

- سوف يقتلك سيف الحداد ....لأجل تامي.

- أنا ابنة شجرة الرب...أنا ابنة الإله...لا يجب أن تنظروا إلي ...يجب أن تهابوني...أنا من سيصلح...الشجرة تعطينا حياة...ونحن نعطيها عبادة...لقد عبدتك طوال حياتي....لماذا سلبتني الحياة...أعطيني الحياة...أعطيني الملك، لا يوجد ما نعطيه عبادة حتى يعطينا حياة.

هنا توجهت بكلتا إلى خارج المعبد صارخة:

- توقفوا ...لقد ماتت الملكة...لقد ماتت سيلفيا.

توجهت سيلينا إلى ماركيدس وربتت على كتفه قائلة:

- وبهذا يا ماركيدس...تكون أخذت بثأر ابنتك.

- ليس بعد يا سيلينا...يجب أن أنفذ ما اقسمت به

قال جملته الأخيرة ثم توجه إلى شجرة الرب، وخيل له أنه تجلى شبح ابنته تامي، كان يحمل فأسًا بيده، قبض عليه بيديه الاثنتين وقبضت يد طفلته الصغيرة معه، وأخذ يضرب شجرة الرب حتى تهاوت وسقطت في نهر (كالين).

أخذ ماركيدس يبكي دون توقف، وركضت الجموع إلى ما سقط من ثمار من شجرة الرب يتناولونها بشراهة كبيرة، ومنهم من توجه

إلى نهر (كالين) الكبير ليشرب منه ويروي ظمأه، لا يعلمون كمْ مر من الوقت حتى توقفت سيلينا على جزء عالٍ وقالت:

- لقد انتهت عبادة شجرة الرب...انتهت عبادة الظلم والفساد...لا يوجد حصاد بعد اليوم....تجولوا...اشربوا من النهر لا تخافوا شيئًا ... اقطفوا ما شئتم من الثمار ...تنفسوا .. حتى تحيوا.

تقدم ماركيدس من بكلتا قائلًا:

- يجب أيضًا أن أحقق حلم شريد.

- بماذا كان يحلم؟

- سوف أبني له تمثالا هنا...إنه بطل مدينتنا .....بطل (كالين).

- انظر يا ما ركيدس ...لتلك النبتة الخضراء الجميلة.

قالتها بكلتا وهى تنظر إلى مكان شجرة الرب، فتوجه إليها ماركيدس قائلًا:

- إنها نبتت مكان شجرة الرب ...انظري يا سيلينا.

- إنها جميلة حقًا...سوف أسميها تامي...شجرة تامي.

قالت سيلينا جملتها الأخيرة، واتجهت لتندمج وسط الجمع، أما ماركيدس فجلس بجوار النبتة مبتسمًا.

9

يجلس الأبناء والأحفاد ملتفين حول جدهم وهو يقص عليهم أسطورة شجرة الرب، وكانت ابنته المفضلة تالين يبدو عليها الاستمتاع الشديد، وصل الجد إلى نهاية القصة قائلًا:

- وبهذا انتهى حكم سيلفيا ...وأصبحت (كالين) خالية من أية قوانين ...أصبحت سيلينا هي الحاكمة، وبني معبد كبير حول شجرة تامي، وأصبح ماركيدس كاهن المعبد....بل كبير الكهنة...وتحولت العبادة من شجرة الرب إلى شجرة تامي....تامي النبتة الصغيرة التي وهبت الأمل والحياة لأهل (كالين) ..انتهت قصة (كالين) وانتهى معها أيام الحصاد...وبدأ فجر جديد ...بدأت حضارة لم تمت حتى الآن.. حضارة إنسان.

- انها قصة مشوقة حقًا يا جدي.

قالها سامر وظل الجد يتابع نظرات الذهول التي اعتلت وجوههم جميعًا حتى تحركت تامي الصغيرة قائلة:

- اذن أنا تامي أصلى شجرة؟

تعالت الضحكات داخل مكتب الجد وأمسك بها الجد واحتضنها قائلًا:

- من الممكن أنكِ تشبهين تامي ابنة ماركيدس، ولكن ليس من الممكن أن تكوني من أصل شجرة.

- أشعر أن تلك الرواية يا أبي لن تنال إعجاب البعض.

- لماذا يا عبد الله؟

- هناك جزء كبير من الخيال يسيطر عليها.

- حتمًا إنها خيالية يا عبد الله.

قالها سامي ثم تحرك الجد بكرسيه المتحرك وتوجه إلى باب الغرفة قائلًا:

- حسنًا فلتأتوا معي إلى الخارج.

توجه الجميع إلى حديقة المنزل منها إلى النهر الصغير، ليقفوا أمام شجرة كبيرة ضخمة اخذوا يتفحصونها بأعينهم ثم قال الجد:

- أنتم الآن تقفون أمام شجرة الرب.

تمت